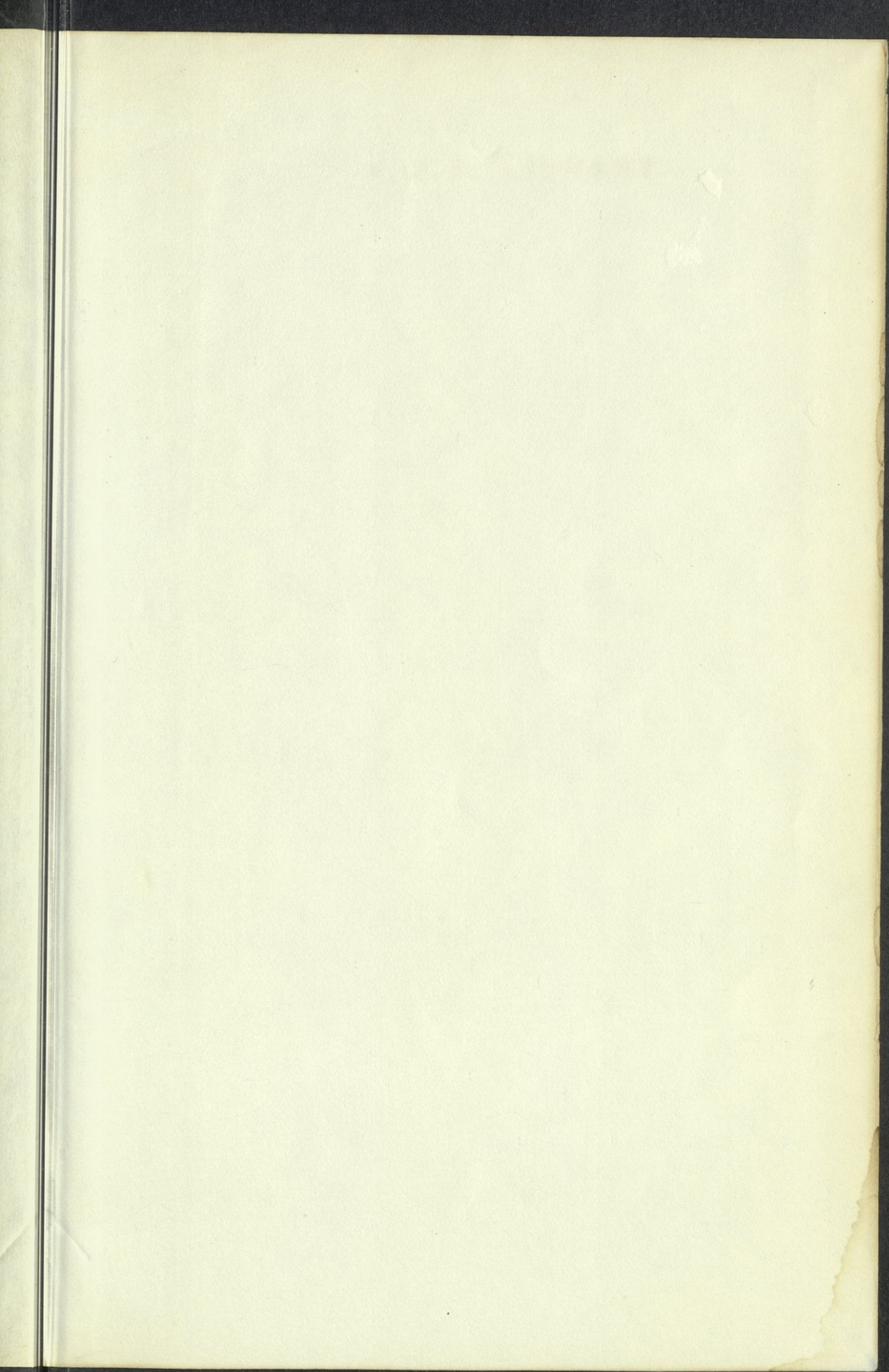
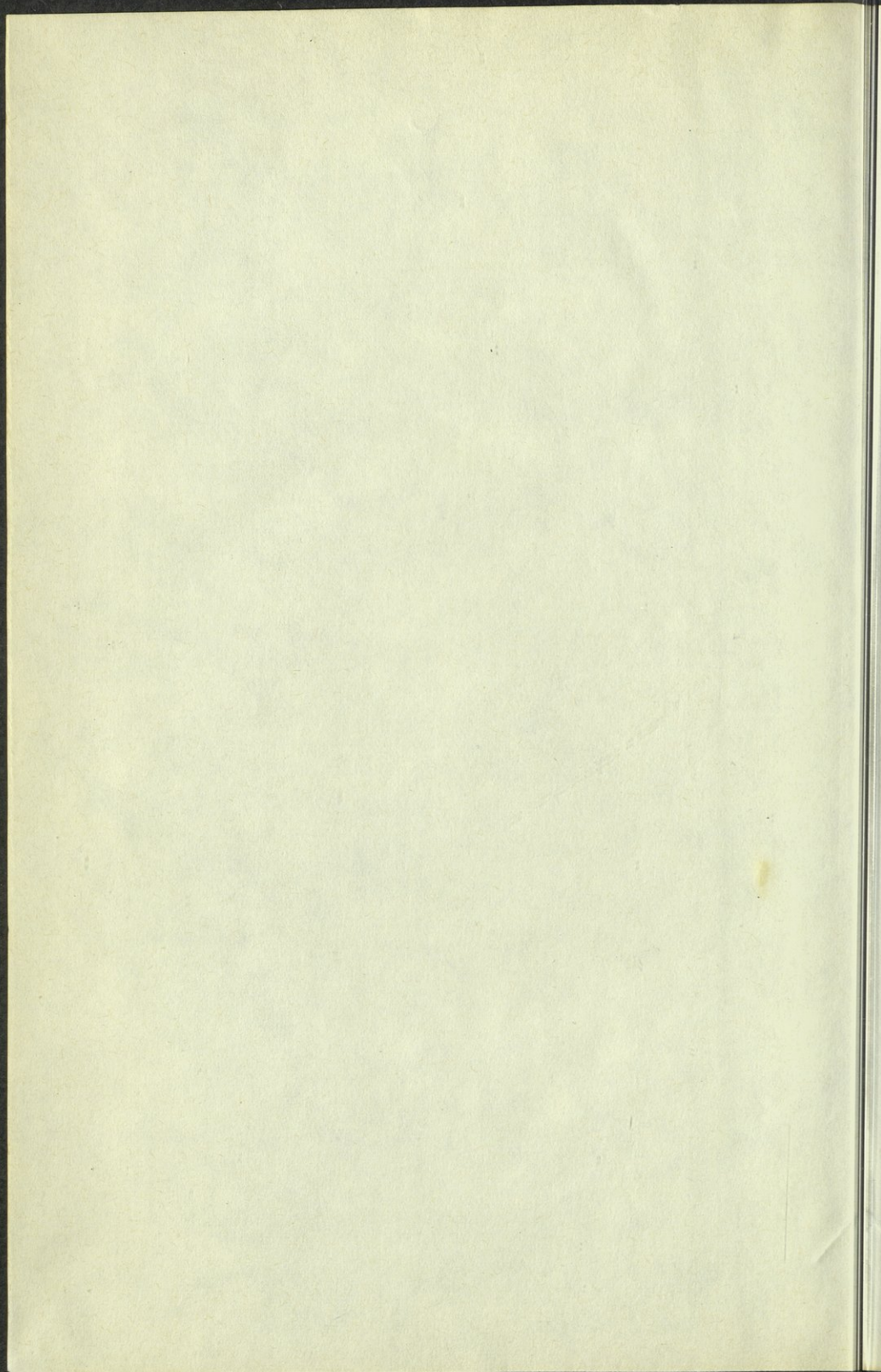


A. U. B. LIBRARY

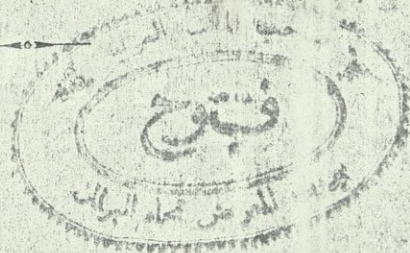
THE NEW YORK PUBLIC LIBRARY





77.63
K 90A
نفس كتاب حياة محمد
2 قسم

297.63
H419'ha7



نشر أكثره مقالات في
جريدة الكوكب الغراء

بقلم

عبد الله بن علي النجدي القيصي

57747

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

Ed. FFE
AnPLAY

الهداء

إلى الذين يبتغون الحق لوجه الحق ومعه

طبق الأصل من كتاب

« حياة محمد »

المؤلف

Ed. 772
Arabia

1881

1881

1881

1881

1881

أ
و
و
و
ط
ال

محمد عليه السلام

ولد يتيماً في عصر اتفقت كلمة المؤرخين والرواة على أنه من أخبت العصور وأكثرها انحطاطاً من جميع النواحي الخلقية والعقلية والدينية والحكومية . عصر هو في الحق عصر الظلم والظلمات . ولد في أمة تائهة في الضلال والجهل ، تائهة في البغي والظلم ، تائهة في الشرك والكفر ، تائهة في الفرقة والاستبداد ، تائهة في القساوة والعنف ، تائهة في كل معاني الغضب والسخط .

أمة لا تدين لرعيم بزعامة ولا لحاكم بحكومة : كل رجل منها يحسب الرعيم من في برده ، والسيد من تحت خيمته .

أمة ليس لها قائد يتوكلها في مواطن القيادة ، وليس لها دستور يجمعها . ولد هذا اليتيم في أمة بلغت وحشيتها وقسوتها أن تحفر لفلذات أكبادها فتدفقهم في الأرض أحياء أطهاراً صغاراً لا لذنوب ولا لسبب غير خوف تلك الوحوش أن يصيبوا مما يطعمون أو مما يشربون وغير توهم تلك الوحوش أن يجلبوا لهم العيلة والعار .

أمة بلغت جهالتها وغباوتها أن تعبد ما تصنع بأيديها من أحجار وأصنام وغير ذلك ، ثم إذا جاعت أكلت ما كانت تعبد وما كانت تخضع له وتسجد .

نشأ هذا اليتيم في أمة هذا بعض شأنها . نشأ وديعاً هادئاً أميناً تقياً طاهر أبعداً عن كل هذه الشرور والآثام ، بعيداً عن كل هذه الأمراض الاجتماعية والخلقية ، بعيداً عن ذلك كله حتى لم يستطع التاريخ الحفيظ

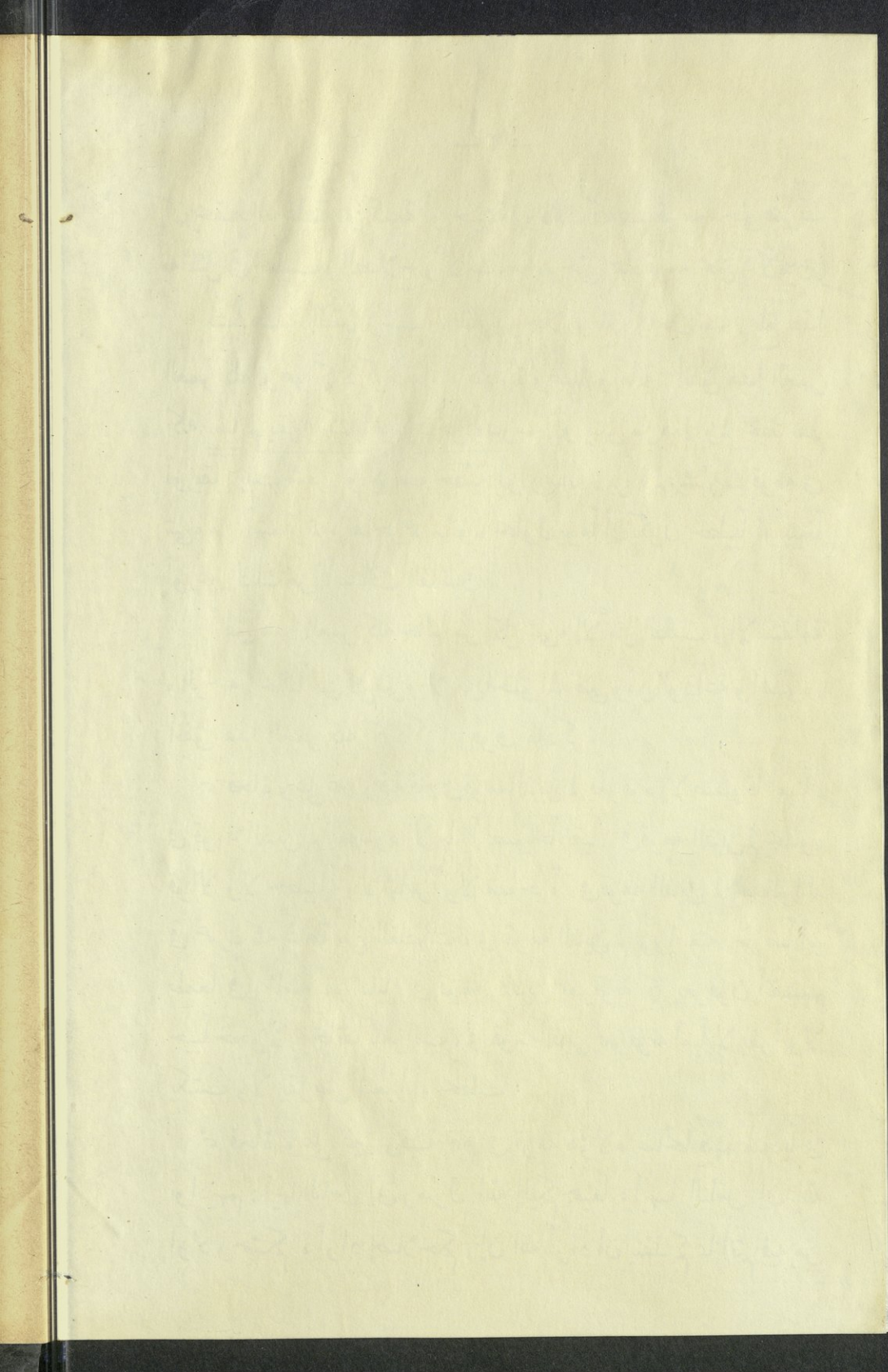
أن يحفظ له غلطة أو كذبة أو جريمة، وذلك كله عند قومه، حتى ضرب به المثل في الطيب والصلاح والاستقامة، وحتى سماه قومه بحق (الأمين).

نشأ هذا اليتيم وشب وصار رجلاً وبلغ أربعين سنة. بلغ هذا العمر كله وهو كما ذكرنا نقاء وطهارة وطيباً وأمانة. أنفق هذا العمر كله أماً لم يقرأ كتاباً ولم يدخل مدرسة أو يتلق من معلم ولم يخط بقلم أو يقل بيت شعر أو يؤلف خطبة أو رسالة، بل ولم يشارك قومه في شيء من أشعارهم وتفاهيرهم بها ولم يحاول يوماً أن يكون خطيباً أو بليغاً أو غير ذلك من أصناف القائلين.

أنفق هذا العمر كله خالياً من كل شيء إلا من الطيب والاستقامة والرحمة. خالياً من كل شيء إلا من الخلق المرضي ومن الوداعة والهدوء. أنفق هذا العمر كله كما ذكرنا وفوق ما ذكرنا.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه الذين لم يعرفوه إلا صدوقاً أميناً، في قومه الذين لم يعهدوه إلا باراً نصوحاً تقياً، في قومه الذين لم يجدوه قوالاً ولا خطيباً، ولا شاعراً ولا مفاخرأ، في قومه الذين لم يحفظوا له في عمره كله غلطة من الغلطات، في قومه الذين لم يروا منه حرصاً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا، في قومه الذين يعرفونه كما يعرفون أنفسهم حياً خجولاً، خائفاً للعواقب، في قومه الذين يعرفونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يقرض شعراً أو يخطب.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه هؤلاء صائحاً فيهم منادياً في نواديهم: أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، أيها الناس إن الله أراد رحمتكم وأراد إصلاحكم، إن الله أراد أن ينقذكم مما أنتم فيه من



وثنية وشرك ، إن الله أراد أن يطهركم من هذا البلاء تطهيراً ، إن الله أراد بكم كل خير وكل سعادة فأرسلني إليكم فاطيعوني تسعدوا ، أطيعوني تملكوا الدنيا ، تملكوا من مملككم ، تملكوا أولئك الذين طالما اتخذوكم لهم عبيداً وخولا ، والذين طالما أذلوكم ، وطالما سقوكم الذل أنواعاً .

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام صائحاً في قومه : أيها الناس إن الله أنزل على كتاباً به نبأ الأولين والآخرين ، به ما كان وما سيكون ، به أخبار الأنبياء والمرسلين ، كتاباً جمع من الحقائق والتواريخ الصائبة الصحيحة ما لا يعلمه علماء الأرض الذين ردت إليهم زعامة الديانات ، وزعامة التواريخ ، والذين قضوا أعمارهم بين أحشاء الكتب في أرقى أمم الأرض حضارة وعمراناً . كتاباً يصحح لأهل الأرض جميعاً أغلاطهم وأخطأهم ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . كتاباً به من القوانين والدساتير والشرائع ما يبقى على الأيام وما يرضى كل زمان ومكان .

كتاباً به من العلوم ، علوم الأرض والسماء ، علوم الماء والهواء ، ما لا تستطيع الأيام على مرورها وكروورها أن تبطل عليه نظرية واحدة ، أو تنقض عليه حقيقة واحدة . كتاباً به من قوانين الأخلاق وقواعد علم النفس ما لا يعلمه أحد من أهل الأرض ، وما لا تزيده الأبحاث والتجارب إلا قوة وثبوتاً . كتاباً أتحدى به الناس جميعاً ، أتحدى به النوع البشري كله ، أتحداهم على أن يجاروا ألفاظه أو معانيه ، أو يبتلوا عليه نبأ من أنبأه عن الغيب ، أو عن العلوم ، أو عن التواريخ ، أو عن أصل الخليقة أو عن الكتب التي بين أيديهم ، أو عن الله ، أو عن ملائكته ، أو عن الآخرة وما فيها من سعادة وشقاء ، أو عن كل شيء . أتحدى الناس

جميعاً على أن يأتوا بمثله أو بما يقاربه ، أو بما يبطله ، وأنا أمهلهم سنة
وسنين ومئات السنين ، ولهم أن يستعينوا بمن شاءوا من الأنصار
والجنود . كتاباً يقول لا بد من أن يكون كذا فيكون كما قال وكما حدث .
كتاباً يقول لا بد من أن يكون له الغلب ولمن عمل به أخيراً فيكون كما
قال وكما حدث . كتاباً لن تستطيعوا أتمه أهل الأرض جميعاً على
أن تفنوه أو تمحوه من الوجود ، بل ولا أن تمحوا حرفاً منه ولو انفقتم
كل قواكم وجهودكم لذلك ، وليس له من نصير وحام غير الله الذى
أنزله . كتاباً خالداً فى الناس ما خلد الليل والنهار ، باقياً فى الناس
ما بقى فى الأرض حق وباطل ، وما بقى خير وشر
نعم . ثم فجأة وعلى غير رقبة قام فى قومه بهذا الصوت الداوى ،
بهذا الصوت المفاجئ الغريب عن تلك الأصوات التى ألفوها ، بهذه
الدعوة الغريبة عن تلك الدعوات التى عرفوها .

فماذا كان ؟

فماذا كان من قومه إزاء هذه الدعوة وإزاء هذا الداعى ؟ ما كان
منهم إلا التكذيب لما جاء به جملة والانكار جملة . وما كان منهم
إلا الجحود لما جاءهم به من حق ومن هدى . جبهوه بالكفر والعناد .
جبهوه بالمساءة والإيذاء . أنكر ما جاءهم به كبيرهم وصغيرهم ، أحرارهم
وعبيدهم ، قريبتهم وبعيدهم . رموه كلهم عن قوس واحدة وبقوس واحدة .
كذبوه بعد أن كان عندهم الصادق الصدوق ، خونوه بعد أن كان الأمين
المأمون ، ذموه وقد كان عندهم المحمود الممدوح . أجمعوا كلهم على

حربه ومناواته وهو وحيد مفرد . وحيد إلا من الحق وإلا من عناية الحق . هجموا عليه بأسلحتهم المنوعة وهو أعزل إلا من كتاب ربه وإلا من دين ربه . قامت أمة بأسرها مشهود لها بالعناد وشدة الشكيمة وبالقساوة التي لا تعرف ليناً . قامت هذه الأمة بأسرها في وجه هذا الوحيد المفرد الأعزل من كل سلاح قاتل مميت . قاموا في وجهه ووجه دعوته . حاربوه باللسان واللسان ، بالقوة والبيان . قالوا إنه ساحر ، وقالوا كذاب ، وقالوا مجنون ، وقالوا ضال ، وقالوا دجال زائف ، وقالوا فيه كل ذم وقدح في كل قالب من قوالب بيانهم وبلاغتهم

فماذا طم ؟

فماذا كان منه أمام هذا البلاء ؟ ! كان منه أنه لم يضعف أمام شيء من ذلك ، ولم يهين لشيء من ذلك ، بل ولا فكر في أن يهون أو يضعف أمام هذا الأذى الذي لا يصبر عليه إلا مثله من عباد الله . بل كان يزداد إيماناً بدينه وثباتاً على دعوته ومبدئه كلما ازدادوا في أذاته وفي التجنى عليه في سبيل إيمانهم بباطلهم . وكان يزداد بهم رحمة وشفقة كلما ازدادوا به قسوة وغلظة . وكان يبكي عليهم كلما ضحكوا سخرية منه وتنادراً به . وكان يشهد في سبيل إحيائهم كلما اشتدوا في سبيل إهلاكه ، ويسعى لحياتهم كلما سعوا لمماته . وكان يتمنى صلاحهم كلما تمنوا فسادهم . كانوا يضربونه ويسيلون منه الدماء فيقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . . .

وكان إذا أسرفوا في عذابه وإرهاقه وأرسل الله إليه ملكا يقول له :

أَتَحِبُّ أَنْ نَهْلِكَ قَوْمُكَ عَامَةً ، يَكُونُ جَوَابُهُ : « لَا . إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَخْلُقَ
 اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يَشْرَكُونَ بِهِ شَيْئاً ، وَكَانَ إِذَا لَجُوا
 فِي الضَّلَالِ وَالْإِعْتِدَاءِ فَأَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ كَقَحْطِ أَوْ نَحْوِهِ انتِقَاماً
 لِرَسُولِهِ جَاءَهُ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ الَّذِي غَضِبَ لَهُ . فَمَا
 يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ وَيَخْلُصَ فِي الدَّعَاءِ
 هَكَذَا كَانَتْ حَالُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهَكَذَا كَانَتْ حَالُ قَوْمِهِ : يَمْطُرُونَهُ
 عَذَاباً ، وَيَمْطُرُهُمْ رَحْمَةً . يَرِيدُونَ بِهِ شَرّاً وَيُرِيدُ بِهِمْ خَيْراً . وَهَكَذَا كَانَ
 يَضْرِبُ لِلْإِنْسَانِيَةِ أَرْوَاحَ الْأَمْثَالِ فِي التَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ ، فِي الثَّبَاتِ عَلَى
 الْعَقِيدَةِ وَالْمَبْدِ الْحَقِّ ، فِي مَنَاضِةِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ ، ثَابِتاً أَمَامَ هَذَا الْبَلَاءِ
 الْمُسْتَطِيرِّ الْعَنِيفِ ، لَا أَقُولُ ثُبُوتَ الْجِبَالِ أَمَامَ الرِّيحِ الزَّعَازِعِ ، وَلَكِنْ
 أَقُولُ ثُبُوتَ الْإِيمَانِ الْقَوِي أَمَامَ الْكُفْرِ . فَلَا أَثْبَتُ مِنَ الْإِيمَانِ الْقَوِي
 وَلَا أَقْوَى مِنْهُ عَلَى مَنَازَعَةِ الشَّرِّ وَالْإِضْطِهَادِ . . . يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي وَسْطِ
 هَذِهِ الْمَوْجَاتِ الْهَوِجِ . يَدْعُو إِلَى اللَّهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْعَتَاةِ الْبَغَاةِ الْأَعْوَامِ
 تَلُو الْأَعْوَامِ فَلَا يَبْنِي عَلَى رَغْمٍ مَا يَلْقَى مِنَ الْمُؤَيِّسَاتِ
 الْمُقْنَطَاتِ . يَبْدَى مِنْ ضُرُوبِ التَّضْحِيَةِ وَالْمُثَابَرَةِ مَا لَا يَوْجَدُ عِنْدَ
 الْآيَامِ وَاللَّيَالِي .

هَكَذَا كَانَ وَاللَّهُ يَمْدُهُ بِأَنْوَاعِ الْآيَاتِ ، وَيَعَزِّزُ دَعْوَتَهُ بِضُرُوبِ
 الدَّلَائِلِ وَالْمُعْجَزَاتِ . يَبْدَى لَهُ كُلُّ يَوْمٍ مَا يَكْفِي مِنْ جَانِبِ الْهَوَى دَلِيلاً
 عَلَى صِدْقِهِ وَصَحَّةِ دَعْوَاهُ ، دَلِيلاً عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالرَّسَالَةِ
 الْعَامَةِ وَالشَّرِيعَةِ الْخَاتِمَةِ . حَتَّى الطَّبِيعَةُ !!! . . . الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا لَمْ تَعْتَصِمَ
 مِنْ أَنْ تَسْخَرَ لِمُحَمَّدٍ وَلِتُعْزِزَ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ وَلِيَّانِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ . وَمَا تَكُونُ

الطبيعة الصماء الخرساء في جانب « محمد ». محمد الذي فتح الله به الآذان
الصم والعيون العمى . أوليس وجود محمد نفسه قضاء على ناموس الطبيعة .
فليس من الطبيعة أن يخرج من جزيرة العرب ، تلك الجزيرة الجدياء
الحرقة ، أمى يقلب نظام العالم كله . . . حتى الطبيعة نفسها لم تستطع أن
تعصم نفسها من أن تتصرف لفائدة محمد ودعوة دين محمد ، حتى شق له
القمر وأجرى له الماء من بين أصابعه وأنطق له الجمادات والحيوانات
إلى غير ذلك من المعجزات .

كل ذلك إعدار من الله إلى أولئك الأقوام ، وكل ذلك إقامة للحجة
عليهم ، وكل ذلك لئلا يقول فريق يوم القيامة ، يوم لقاء المعاذير والحجج :
يا ربنا ما جاءنا هذا النبي بدليل مادي على نبوته وعلى اختصاصك إياه
بالرسالة . ونحن لا نعقل من الدلائل إلا المادي الحسي . وأما الدلائل
العقلية فهي لغيرنا ، لمن ميزتهم يا ربنا علينا بالعقول الراجحة الثاقبة
وكل ذلك ، وأولئك الأقوام الكفار بمحمد في حيرة مما يرون ،
في حرب مع أنفسهم من مسألة محمد ونبوة محمد . وكل ذلك ، والشك
والكفر ينصهران في صدور القوم شيئاً فشيئاً . وكل ذلك ، والباطل
ينزاح من رؤوسهم اليوم بعد اليوم . وكل ذلك ، وجلد محمد يذيب
شركهم وعنادهم الساعة بعد الساعة واللحظة بعد اللحظة . وكل ذلك ،
وإشراق شمس محمد يبدد ليل ضلالهم حيناً فحيناً . وكل ذلك ، والحق
يعلو والباطل يسفل ويهوى

ثم ماذا؟

ثم ما انقضى بضع وعشرون عاماً حتى أصبح هذا اليتيم صاحب الكلمة النافذة في أولئك الذين أذاقوه العذاب أنواعاً، وحتى أصبح السيد المطلق في تلك الجزيرة الواسعة الغنيمة، وحتى أصبح أعظم ملوك الأرض تخشاه وتنقطع مرائرها خوفاً منه، وحتى أصبحت كلها تمد له يد المسالمة رغبة ورهبة، وحتى نفذ ما كان يرجو تنفيذ بعضه، وحتى حقق كلها أراد تحقيقه وكلما جاهد في سبيله، وحتى قضى على كل رأى لا يرضاه أو لا يرضاه الله، وحتى أصبح من كانوا يسعون لقتله يقتلون أنفسهم لا حياته، وحتى أصبح هؤلاء الأعداء الألداء كل منهم يرى السعادة التي لا تفوقها سعادة أن يظفر بنظرة منه، وحتى وضع شريعة باقية على الدهر، وأنشأ أمة معدة لتحطيم أعظم أمم الأرض، وحتى ألف من شذاذ العرب والأعراب الذين ما كان التاريخ يعبأ بهم أو يعبأ ببلادهم لصغارهم وهوانهم. ألف أولئك الأبطال في كل معاني البطولة، أولئك الأبطال الذين تزهى بهم صفحات تاريخ الإنسانية، وحتى أخرج من أولئك الأعراب الحفاة الجفاة معلمين لروما وأثينا، مؤدبين لحكماء بيزنطة وفارس والهند، وحتى فجر صخور تلك الصحراء الجرداء ينابيع عذاباً، وحتى أعاد تلك الصخور والرمال عيوناً تجري بماء الحكمة والفلسفة والعلم والعدالة، وحتى جعل تلك البقعة الجرداء المحرقة متجه أنظار العالم، وحتى غير مجرى التاريخ العالمي وقلب نظامه بسرعة لم يعهد لها نظير وبقوة لم يكن لها مثيل

فماذا عمل ؟

ثم ماذا عمل ؟؟ وإلى أى وجه ذهب بعد هذا الفوز وبعد هذا الفتح المبين وبعد هذا النصر التام ؟! الجواب : أنه ظل كما بدأ مجاهداً صابراً على جهاده متواضعاً جم التواضع زاهداً جم الزهد سهلاً لطيفاً كما كان وكما خلق ، لم يغير مآثله من سلطان وقوة وجاه من أخلاقه شيئاً ، لم يكسبه ذلك إلا الحمد لله ومواصلة عبادته وكثرة تواضعه لمن آمن . والنفس العظيمة عظيمة أبداً ، عظيمة فى الرخاء كما هى عظيمة فى الشدة ، عظيمة فى القوة كما هى عظيمة فى الضعف . والذهب هو الذهب وإن كان فى يد الصائغ مذاباً

فما حفظ عليه أنه انتقم لنفسه ممن أذاقوه البلاء أشكلاً ، ومن أجلبوا عليه بكل أنواع الشر والنقمة ، ولا حفظ عليه أنه آثر نفسه على من آمن به بشئ من الأثرة ، ولا أنه رغب بنفسه عن أنفسهم ، ولا أنه استباح لذاته ما حرم عليهم ، ولا أنه ركن إلى الدنيا بعض الركون أو حاول جمعها ، وكان على ذلك قادراً . بل لقد كان يزداد بعداً عن الدنيا والمال كلما ازدادت الدنيا والمال إليه قرباً . حتى لقد خرج منها كما دخلها لم يدع ديناراً ولا درهماً ، وحتى خرج منها وسلاحه مرهون لليهود على طعام أهله الضرورى .

أعطاه الله تلك الدنيا بعد الجهاد الحاد والبلاء الحاد . فما أعطى تلك الدنيا من نفسه شيئاً . وقد باعها كلها للحق . والنفس الكبيرة

أعظم من أن تكون ثمناً لدنيا أو لرئاسة . وما خلقت الدنيا إلا لتكون من خدمها

ظل يرى الناس مالم يسمعوا به من أمثال الزهد والورع والتضحية والشجاعة والإيثار والمساواة والعدالة ما جعلهم يترامون على طاعته والدخول في دينه وعلى التفاني في حبه ترامياً ، وما جعل الأعرابي العنيد الأبى يقف أمامه قائلاً بشيء من الزهو والفخر والسرور : يا محمد والله لو أحببت أن أقطع رأس والدي لقطعته ولوضعت بين يديك . ظل يرى الناس - والدنيا في يمينه وشماله - من أمثال الرجولة الكاملة والنبوة الخاتمة ما جعل أولئك العرب يطلبون الموت تحت راية الحق طلب الناس الحياة تحت راية الباطل ، وما جعلهم يحرصون على الفقر حرص الناس على الغنى ، وما جعلهم يتبارون في الإيثار تبارى الناس في الأثرة

ظل يضرب لهم هذه الأمثال حتى خرج من الدنيا والدنيا لا تعرف غير محمد وأمثال محمد ، وحتى خرج من الدنيا والناس لا يعرفون غير محمد وغير فضل محمد ، وحتى ظل العربي الذي يحب الحياة يعانق الموت الزؤام باسم الشجر راضى النفس يحفره ما يتصور في مخيلته من جهاد محمد وشجاعة محمد ، وحتى ظل العربي يدخل على أعظم ملوك الأرض جبروتاً وسلطاناً وفتكاً غير حاسب إلا أنه رجل من سائر خلق الله ، وذلك لما بقي في رأسه من أمثال محمد في عزة النفس وفي إباء الضيم وفي تعظيم الله وحده ، وحتى ظلت الفئة القليلة من المؤمنين تتاجز الجموع المعدودة بمئات الألوف غير حاسبة إلا أنها في قبضتها

وغير حاسبة إلا أنها آخذة بناصيتها، وذلك لأن محمداً ضرب لها المثل الأعلى في الاعتماد بالنفس اعتماداً على الله فقاوم أهل الأرض كافة، وهو موقن بالنصر، موقن بأن العاقبة له فكان له ما أيقن وكان له ما قدر، وحتى كان الأعرابي اللفظ يسمع الآية الزاجرة فيصعق فرقاً من النار ويسمع الآية في الرحمة فيطير لبه شوقاً إلى الجنة

خرج من الدنيا مخلفاً وراءه أولئك الجنود، أولئك الملائكة في صور الناس. لا أقول الملائكة. فليس هنالك أفضل من أن أقول: مخلفاً أولئك الصحابة. فمافي الألفاظ لفظ يتحمل من معاني العظمة والبطولة مثل ما يتحملة لفظ الصحابة، وليس هنالك في الألفاظ لفظ يشرف على لفظ الصحابة بعد الله ورسله. خلف وراءه أولئك الصحابة الأبرار بعد أن هذبهم بمدرسة السماء، بمدرسة النبوة الخاتمة. مدرسة مادتها كلام الله ومدرستها ورئيسها محمد عبد الله ورسوله.

فأية رسالة أدوها؟

فماذا عملوا بعده وأية رسالة أدوها في الأرض؟! الجواب: أنهم أغاروا على أطراف الأرض يحطمون أوثانها وأصنامها، يحطمون طواغيتها وأربابها، يحطمون ما يحجل به الناس في ذلك العصر الموبوء من بلاء وعسف، من هوان ووثنية، من خرافات حطت الانسانية عن مستوى البهائم قروناً وقروناً. أغاروا على هذا البلاء وقد علمهم عبد الله ورسوله كيف يغيرون وكيف يغزون. أغاروا على ذلك. بماذا أغاروا؟! لا أقول بالطيارات ولا الدبابات ولا الغواصات ولا الرشاشات

ولا الغازات الخانقة ولا بغير ذلك من أنواع السلاح القاتل . لا أقول بشيء من ذلك ، ولكنى أقول إنهم أغاروا بقلوب !! بقلوب مخلصنة مؤمنة وكفى !! وبدعوة تحل القلوب قبل أن تحل الأسماع . فليس في أنواع السلاح وعدد الجهاد أمضى من القلوب المخلصنة المؤمنة ، وما في الأرض أسرع احتلالاً للبلاد واستعماراً لها من الدعوة الصالحة المعقولة إذا ما قام بهار رجال مخلصون عاقلون . أغاروا على هذا البلاء بهذه القلوب المخلصنة المؤمنة تحمل هذه الدعوة المعقولة الصالحة !! وأى مخلوق رزق شيئاً من العقل والانصاف لا يلبي تلك الدعوة ولا يجيب لذلك الدعاء ؟؟!

أجابت كل البلاد التي وصلوها ووصلتها دعوتهم . وما أجابت الدعوة وحسب ، بل إنها نسيت جميع مقوماتها مندجة بدعوة أولئك الصحابة ، مندجة في مقوماتهم . تركت أديانها وأزياءها ولغاتها وعاداتها آخذة بدل ذلك دين الصحابة ومقومات الصحابة

فماذا طامه ؟

كان أن أنقذوا الإنسانية المعذبة ، أنقذوا الأخلاق ، أنقذوا العقول ، أنقذوا الديانات ، أنقذوا الرؤساء والمرءوسين ، أنقذوا البهائم ، أنقذوا كل ذى روح ، أنقذوا أولئك كلهم من ذلك البلاء ، البلاء الذى فرضته عليهم أنانية الرؤساء الطاغين ، وفرضه رجال الكهنوت والجهل والحقائق . أنقذوهم من ذلك كله ، ثم أذاقوهم طعم الحرية . أروهم كيف تكون الديمقراطية ، كيف تكون العدالة . عرفوهم منزلة

المخلوق من منزلة الخالق . عرفوهم حق الله وحق عباده . أروهم ذلك كله بأكمل صورته ، وقد كان عندهم مجهولاً ، وقد كانوا لا يعرفون منه شيئاً . وما زال الناس من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يستضيئون بنور هؤلاء الصحابة ، وما زالوا يقبسون من تلك المشاعل العربية المحمدية . وكل حضارة ومدنية توجد اليوم هي في الواقع متولدة من تلك المدنية العربية بواسطة أو بواسطة عديدة . وسوف يظل الناس إلى يوم البعث يحنون من تلك الدعوة كل على قدر استعدادده .

هذه هي حياة محمد ، وهذا هو محمد عليه السلام مصوراً بقدر استعدادنا نحن لا بقدره هو . فما ترى في هذه الحياة من المعجزات والسمو؟ وما ترى في هذا اليتيم العربي الأعمى من المعجزات والسمو؟! حياة كلها معجزات وسمو . حياة سلسلة من العظمة والبطولة ، بطولة النبوة لا بطولة الرجولة فقط!! حياة لا يستطيع أحد أن ينسك عظمته . المؤمن بنبوته يعظم فيها النبوة والعظمة ، والكافر بنبوته يعظم فيها البطولة والرجولة التامة . فالناس لا يختلفون في تعظيم هذه الحياة ، والناس لا ينسك منهم أحد ما عليه لهذه الحياة من فضل ومن منة . إذن ليكتب الكاتبون في عظمة هذه الحياة . كل يكتب على قدر استعداده وعقيدته ، وعلى قدر إيمانه . وليكتب « الدكتور هيكل » إذن في هذه الحياة ، ولنكتب نحن بعض أغلاط هيكل ولنسك ما يدخل في هذه الحياة من غلط فإن الغلط في فهم العظم هو في الواقع غلط في العظمة

الدكتور هيكل

الدكتور حسين هيكل واسع الثقافة، كثير القراء مسموع الكلمة، فإذا ما كتب كانت فائدته عظيمة، وكان نفعه عاماً. ومن هذا فسوف تكون الفائدة في كتاب حياة محمد عظيمة وسوف يكون نفعه عاماً ولقد صادف رواجاً حسناً، وصادف مدحاً لا بأس به. وقد التهمه العالم الاسلامي التهاماً، واعتنى به أفضل عناية، وقرظه جميل التقريظ. وإن يكن هذا دالاً على شيء فإنه يدل على ما للدين وللكتابة في الدين من المكانة في النفوس وعلى تعلقها به تعلقاً يحمل المتشائم على التفاؤل والرضا، كما يدل على مكانة الدكتور هيكل في نفوس العالم العربي وكما يفرح المؤمنون برواج كتب الدين، وكما يعجبهم انتشارها وكثرة قرائها، فإن في ذلك من القضاء على الاحاد والتنفير عنه ما فيه، كما أن فيه ترغيباً وحفزاً لكتابنا الاعلام العصريين أن يواصلوا الكتابة في الدين وفي الدفاع عنه وأن يرغبوا في ذلك. لهذا اغتبطنا برواج كتاب حياة محمد اغتباطاً كثيراً.

وقد وفقت لقراءة فصول الكتاب فوجدت الحسنات التي اشتمل عليها غنية عن أن نشيد بها، وقد أشاد بها المشيدون قبلنا، وقد أشاد بها أصدقاء الدكتور. وإنما ألفيت بعض ماخذ زل فيها القلم فكان التنبيه عليها واجباً كي يبرأ منها الكتاب في الطباعات الآتية اذا ما اقتنع الدكتور بها.

لم يفرح المسامحة في عيسى

قال في ص ٣ : « واستمر القتال بين أتباع عيسى وأتباع محمد قروناً وقروناً متتالية ، ولم يقف القتال عند حرب الأسلحة والمدافع بل انتقل كذلك إلى ميادين الجدل والنضال الكلامي ، جاء المتقاتلون فيها بأسماء عيسى ومحمد ، وجعل كل فريق من انتقاص رسول الفريق الآخر وسيلة لتأليب السواد واستثارة حماسة الجماهير وتعصبها »

ونحن لا نعلم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى عليه السلام ولا قدحوا فيه ، بل يرى المسلمون أن انتقاص عيسى أو غيره من أنبياء الله كفر بواح ومفارقة لملة الاسلام ، بل المسلمون يعلمون كافة أن القرآن الكريم قد طهر عيسى وطهر كل رسول من كل رجس وعيب أضافه إليه أهل الضلالة . والآيات القرآنية في الثناء عليه ونفي كل تهمة عنه عديدة ليس المقام في حاجة إلى سردها . على أن العجيب أن الدكتور قد ذكر هذا المعنى بعد أن ذكر ما نقلته لك . فلا ندرى ما ذا يريد بانتقاص المسلمين عيسى كما لا ندرى متى ألبوا السواد على أصحاب عيسى بالقدح في عيسى .

والمسلمون ، وإن اختلفوا في مسائل من أمهات الدين ، فقد اتفقوا جميعاً على وجوب تعظيم الأنبياء وتبرئتهم من كل ما يشين وما يصم . فلا نستطيع إذن أن نفهم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى أبداً

اساس الديانات السماوية كلها التوحيد

وقال في ص ٦ : « فالنصرانية تقول بالتثليث والاسلام ينكر كل ما سوى التوحيد أشد انكار » .

وقال في ص ٨ : « تقول المسيحية بالتثليث وبأن عيسى ابن الله والاسلام ينكر انكاراً صريحاً باتاً أن يكون لله ولد »

ونحن نخالف الدكتور ونقول : إن الاسلام والنصرانية لم يختلفا على أساس العقائد ولا في ان عيسى عبد الله ورسوله وأن الله فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولا جاءت النصرانية بالتثليث ، ولا قالت إن عيسى ابن الله جل الله عن ذلك . وإنما قال ذلك النصارى أو من يدعون أنهم نصارى ، وفرق بين النصرانية وبين من يدعون اعتناق النصرانية ، كما أن هنالك فرقاً عظيماً بين الاسلام وبين من يدعون الاسلام أو من يحسبون على الاسلام أو من يقولون إنهم مسلمون . والأديان السماوية لم تختلف مطلقاً في وحدة الله وفي أنه ليس له شريك ولا ند ولا ولد . فلا النصرانية ولا غيرها قالت ما ذكره الدكتور أو جوزته

وليس للدكتور أن يقول أو يقول من يدافع عن الدكتور : إننى أعنى بالنصرانية النصارى . كما أنه ليس لأحد أن يقول : إن الاسلام دين خميال وكسل وهوان وضعف وذلة وتفرق وإن كان ذلك كله وأكثر منه قد جاء من أهله ومعتقيه . فلن نؤخذ النصرانية بما عمل من يدعون

اتباعها ، كما لا يؤخذ الإسلام بما جناه أهله عليه وعلى أنفسهم من شر وبلاء . وليس بجائز أن يسب الدين بما اقترفه من يعزون اليه ومن يعدون عليه .

مذهب وحدة الوجود والاسراء

وقال في ص ١٥٨ : « في الاسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو . معنى أكبر من هذا الذي يصورون والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل . فهذا الروح القوى قد اجتمعت فيه في ساعة الاسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة كالمها

« لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسنة والمدبرة والعاقلة

« تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله الى أبده وصوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل والجمال والحق في مغالبتها وتغلبها على الشر والنقص والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة

« وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الانسانية . فإذا جاء بعد ذلك من اتبعوا محمداً من عجز عن متابعتة في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه

« والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات . وبلوغنا الحقيقة معرض دائماً لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها »

ولعلنا لا نظلم حقاً ولا نركب باطلاً إذا قلنا إن هذا الغلو والاطراء في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم مما يأباه الاسلام ومما تأباه بساطة الدين وروح الدين الساذجة البريئة ، بل مما يأباه القرآن الكريم أشد الالباء ويراه من الإسراف الذي يرفع المخلوق فوق مستواه ويأباه الرسول لنفسه كما أن الواقع يأباه ولا يمكن أن يرضاه .

وقد وصف القرآن محمداً عليه الصلاة والسلام أجمل وصف وأبعده من نقص وغلو، وصفاً يرفعه عن مقام سائر الناس ولا يرفعه إلى مقام الألوهية الأعلى ، فقال (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد . فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) وقد كان عليه السلام كثير الخوف على أمته من أن تغلوا فيه وأن ترفعه فوق مستوى البشرية . ودكتورنا يقرر هذا في مواضع من كتابه . وكان عليه السلام : « يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . بل لقد أغضبه يوماً إذ قالوا له : أنت سيدنا وابن سيدنا وقال لهم : « أيها الناس . لا يغوينكم الشيطان فما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله »

وليس بخاف على الدكتور أن الغلو في الأنبياء والأولياء والملائكة

هو أساس الوثنيات القديمة والحديثة ، وهو جرثومة الإشرار الذي وصم جبين الانسانية وصمة عار وسبة لن يمحوها ما جاء به الانسان على مر الدهور من أمور تدل على عقل وذكاء ومعرفة . فلا ندرى من أين للدكتور أن روح محمد قد اجتمعت فيها وحدة الوجود كله ، كما لا ندرى معنى ذلك ولا معنى وحدة الوجود ، ولا ان للوجود وحدة ولا أحسب دكتورنا الفاضل ينحى بكلامه وعباراته منحى القدامى من صوفية المسلمين وباطنيتهم الذين يطلقون أمثال هذه الكلمات اطلاقاً ويرسلونها ارسالا أحفظ عليهم صدور المحافظين من علماء الأمة . وهل يمكن أن نفهم أو هل يمكن أن يفهم صاحب « حياة محمد » أن للخالق والمخلوق وحدة أو أن الخالق والمخلوق واحد . لأن ذلك هو الوجود الذى يمكن أن يتناوله كلام الدكتور ، أو هل يمكن أن نفهم أن لمحمد وغيره من مشركى الناس ومؤمنيههم وحدة فى الوجود والمصدق .

لا يعلم الغيب الا الله

على أن الذى لا نستطيع له اقراراً ولا قبولاً قوله :
« تداعت فى هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله فى روحه فوعاه منذ أزل إلى أبده وصوره فى تطور وحدته إلى الكمال »

والذى نستطيع أن نقوله وأن نقابل به كاتبنا ، هو أن محمداً عليه السلام ما كان ولا كان غيره من خلق الله واعياً للكون كله ولا عالماً بالغيب من الأزل إلى الأبد ، ولا اجتمع كل الكون ولا نصفه بل

ولا عشره في روح محمد ونفسه . والآيات القرآنية المصروفة باختصاص الحق سبحانه بعلم الغيب معروفة لكاتبنا ولقارئنا وليست في حاجة إلى اثباتنا

وحسبنا أن ثبت هنا آيتين اثنتين : قوله (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير)

على أن قوله هذه ينافيها قوله في ص ٤٨٩ « خياة محمد انسانية بحثة بلغت أسمى ما يستطيع الانسان أن يبلغه ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارع أصحابه بذلك . ذلك بأنه يريد ألا يعبد أحد إلا الله وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه الخ . . »

أليس هذا الموقف مما يدعونا إلى العجب وإلى مساءلة الدكتور زيادة البيان . والحق أن الدكتور كان محباً لرسول الله مغالياً في حبه ، حين كتب القطعة الأولى ، وأنه كان محباً للتوحيد غالياً في حبه ، خائفاً على التوحيد غالياً في خوفه ، حين كتب القطعة الأخيرة . والحب إن لم يقيد بقيد البرهان والعقل ، كان جموحاً بصاحبه ، وكان غنياً ، بل كان ضاراً

وهذا الوصف الذي وهبه للرسول من تلاشى الوجود ، وتبدد حجب الزمان والمكان من أمامه ، واجتماع الكائنات في روحه ، يناقض ما يرتئيه الدكتور من نفى الخوارق والمعجزات المادية غير

القرآن ، كما سوف أطلعك على ذلك بحول الذي لا يعلم الغيب غيره
ويا ليت شعري كيف اتفقت هذه المقالة لكاتبنا ، وهل اتفقت له
من العقل أو من النقل ، ولا ندرى أن واحداً منهما يقبلها أو يجهزها .

هل ينكر الدكتور الاسراء والمعراج ؟

والذي نخشاه أن يكون هذا القول قد تضمن نفى الاسراء
والمعراج . فانه إذا كان للكون وحدة أو اذا كان الكون كله واحداً
مجتماً في روح محمد صلى الله عليه وسلم وفي صدره كما يريد كاتبنا لم
يكن هناك حاجة الى أن يسرى به من المسجد الحرام الى المسجد
الأقصى ، أو يعرج به من الأرض الى السموات العلى ، بل لم يكن ذلك
مستطاعاً ولا معقولاً ، لأن المسجد الحرام والمسجد الأقصى كلاهما في
روح محمد وكلاهما شيء واحد ، ولأن السماء والأرض شيء واحد
وكلاهما في روح محمد .

فهل يمكن أن يعرج به أو يسرى به إلى شيء هو في روحه ومعه ؟ !
وهل لدى الدكتور من حل لهذا ؟ !

وأنا لا أرى الاسراء والمعراج في حاجة إلى كل هذه الفلسفة ،
والى كل هذا الامعان في البحث للوصول الى الايمان بهما ، والحصول
على مغزاهما . فالله على كل شيء قدير ، يفعل ما يشاء ، ولا مانع لما أراد
باعتراف كاتبنا واعتراف كل من يؤمن بالله .

ونحن نرى كل يوم في حادثات الأرض والسماء ، ما هو أغرب من
الاسراء والمعراج وأدل على القدرة

ولقد كادت علوم هذا العصر تمحو حروف « مستحيل » من قائمة الموجودات !!

معجزات محمد المادية ومنطق الدكتور

وقال ص ٤٨٩ « ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارع أصحابه بذلك . ذلك بأنه يريد أن لا يعبد أحد إلا الله وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه . وذلك ما دعا أبا بكر ، حين خطب الناس إثر وفاة النبي والناس مختلفون : أمات أم لم يميت ، إلى أن يقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله

حي لا يموت

» وهذا الذي جرى عليه النبي وقام به أبو بكر يوم وفاته هو ما حال بين كثير من علماء المسلمين وكتابهم والوقوف عند ما أضيف إلى سيرة النبي من خوارق وضعها بعض الغلاة مضاهاة لما ورد في القرآن عن عيسى وموسى أو دسها من دسوا الأسرائيليات على الاسلام ونييه لين يغوا بها العقائد وليبعثوا بها الشك إلى نفوس من يؤمنون بأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً . وما كان محمد بحاجة إلى الخوارق لإثبات رسالته وقد كانت حياته قبل الرسالة كلها التضحية في سبيل الله وفي سبيل الحق الذي بعثه الله به »

يصر الدكتور كل الاصرار على نفي المعجزات وتكذيبها إذا

ما استثنينا القرآن . يصبر على ذلك اصراراً باتاً ، ويذكر على هذا النفي وعلى هذا الاصرار على النفي من الأسباب ما لا يستطيع الوقوف أمام البحث .

ولكن الواقع والدراسة الصحيحة يصران على خلاف ما أصر عليه الدكتور . يصران على اثبات المعجزات اصراراً باتاً صريحاً .

اقرأ في أى كتاب تناول حياة محمد عليه السلام بإسهاب أو باختزال وانظر ماذا يقص عليك بالأسانيد الثابتة الصحيحة من المعجزات التي خص الله بها رسوله وعزز بها دعوته . وانظر ماذا تجد من أنواع هذه المعجزات ، ثم اختبر هذه الطرق لهذه المعجزات وانظر هل تجد فيها طريقاً ضعيفاً أو هل تجد فيها راوياً كذاباً غاشاً للدين وللعلم وللحق يمكن أن يدس في ذلك حسب هواه وما يميل اليه ؟! أو هل تجد راوياً إلا ثبتاً فيما يقول وما ينقل ؟! اقرأ في البخارى وفي كتاب مسلم أصح كتب الرواية أو في مسند الامام احمد أو في أبى داود أو في الترمذى أو في أى كتاب حديث : اقرأ في ذلك ثم امتحن ما قرأت وناقشه الامتحان ، وحاسب ما قرأت وناقشه الحساب ، وسلط عليه ما علمت من قوانين البحث والدراسة الصائبة وانظر بماذا تخرج وعلام تخرج .

بل اقرأ في أى كتاب من كتب السيرة : ابن هشام أو الواقدى أو ابن جرير أو ابن كثير أو ما شئت

واقراً في أى كتاب تفسير للقرآن على أى وجه كان ذلك التفسير ، وعلى أى مذهب كان صاحبه .

بل اقرأ كتباً وضعت خاصة بما يصير الدكتور على فيه . كتباً
وضعت في معجزات النبي العربي وسميت علامات النبوة ، وذلك
ككتاب علامات النبوة للبيهقي وكتاب علامات النبوة لأبي نعيم
وغيرهما .

اقرأ هذه الكتب كلها تجد الماء تارة ينبع من بين أصابعه عليه
السلام لما أن جهده والمسلمين العطش وكانوا سفراً حتى كاد الموت
يدركهم . وقد روى هذه المعجزة ممن حضروها من لا نستطيع الآن
احصاءهم . ولا تكبرن هذه المعجزة على عقل دكتورنا أو عقول القراء ،
فإن الجو والهواء مملوءان بذرات الماء . وعلماء الكيمياء الآن
يستطيعون أن يركبوا ماء من هذه الذرات (بإذن الله) . بل تطورات
الجو . تكون من هذه الذرات السحاب ، ثم تنزل مطراً برحمة من الله
وفضل . فلن يعظم ذلك على قدرة الله غوثاً لرسوله وغوثاً لعباده المؤمنين
من الموت المحقق .

وتارة تجد الطعام يزيد بين يديه عليه السلام بدعائه ورغبته إلى
الله . وقد صحت هذه المعجزة في أصح كتب الحديث عن رجال كثيرين
ممن أكلوا منها وشهدوها . ولا تتعاضمك أيها القارئ هذه المعجزة
حتى تقع في انكارها ، فإن علماء الكيمياء الآن يستخلصون من الهواء
والنبات ونحوه طعاماً عند الحاجة والضرورة الحاكمة

وتارة ترى المشركين يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
المعجزة ويلجئون في الطلب فيشق الله القمر حتى يرى فلقين ويرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره إلى الناس ويقول لهم : « أشهدوا »

وروايات انشقاق القمر رواها رجال الصحيح من طرق زعمها فريق من رجال الرواية متواترة. وقد حدث القرآن عنها بقوله :
(اقتربت الساعة وانشق القمر)

إذن لن يستطيع الدكتور انكار ذلك أو القدح في بسنده بتجريح الرواة . وأحسب القارىء يجد على هذه الحادثة العظيمة إشكالات وشبهات قد تكون عقبة بينه وبين الايمان بذلك ، فلا بأس أن أحيله على كتاب مشكلات الأحاديث النبوية^(١) ، فانك واجد هنالك ما يبدد عنك ما تجد من شبهات

ويحسن هنا أن نسأل الدكتور عن رأيه في انشقاق القمر ، فان قبل انشقاقه معجزة للنبي العربي فقد أبطل قوله في نفى المعجزات ، وان أبى الايمان بذلك قلنا له : كيف يجتمع هذا الإباء مع الايمان بالقرآن ومع الايمان بأنه من عند الله

وتارة ترى الاعرابى يحجىء النبي فيقول له : ادع هذه الشجرة ، فان جاءتك آمنت لك وآمنت بأنك رسول الله . فيدعوها فاذا هى ماثلة أمامه ، ويأمرها بالرجوع فاذا هى قائمة مكانها . فاذا الاعرابى يؤمن ، واذا الاعرابى يزداد إيماناً ويقيناً

وتارة ترى الأعشى يحجىء رسول الله فيطلب منه أن يدعو الله له فيدعو فيشفى ويصبح بصيراً باذن الله

وتارة ترى الذراع المسمومة تقدم له عليه السلام فيقربها الى فمه

(١) خرج هذا الكتاب حديثاً وهو أول في موضوعه

الشريف فلا يلبث ان يزحزحها قائلاً : « ان هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة » فإذا هي مسمومة .

وتارة ترى الرسول يطلع فوق الجبل فيضطرب الجبل ويهتز فيضربه رسول الله برجله الشريفة ويقول له : « اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » فإذا الجبل ثابت وتارة ترى الرسول يقول : « انى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل البعثة »

وتارة ترى الملائكة يجيئون رسول الله ويجالسونه ويقاثلون معه الأعداء .

وتارة تجد الطعام والشراب يسبحان بيده عليه الصلاة والسلام . وتارة ترى غير ذلك مما لا يستطيع احصاءه المحصون وما لا تحمله صحائف من الجرائد

ولقد قدر طائفة من علماء الأخبار معجزات رسول الله غير القرآن بألفين ، وقدرها غيرهم بثلاثة آلاف ^(١) . وكل هذه المعجزات رويت بالأسانيد . فإذا ما افترضنا لكل معجزة أربعة أسانيد ، وهذا أقل تقدير ، كان مجموع أسانيد المعجزات التى يصير الدكتور على انكارها اثنى عشر ألفاً . فانظر بربك هل يمكن فى العقل الذى يتهافت عليه دكتورنا أن يوجد اثنا عشر ألف رواية وتسكون كلها كذباً لا يصدق منها شيء . أنظر بربك هل من المعروف للعقل والعادة ، أن تكون هذه الكثرة من الروايات كاذبة كلها ، مختلقة كلها ، مدسوسة كلها ؟ ! ما أهون الروايات إذن وما أهون التاريخ ، وما أرك عقل من يعتمد على التاريخ

والروايات في اثبات الاحداث ، وفي الايمان بالوقائع
اذا كان اثنا عشر الف رواية من أصح الروايات كذباً كلها ،
اختلاقاً كلها ، فأية رواية تصدق ، وأى تاريخ يقبل ؟ ! انه لا شىء من
ذلك ، إنه لا تاريخ ، إنه لا عقل ، إنه لا صحيح في الدنيا . اثنا عشر
الف رواية لا يصح منها شىء لدى صاحب كتاب « حياة محمد »

إذن كيف يصح عنده انه كان حجاج ، وكان عنتره ، وانه
كان أبو تمام والبحترى والمتنبى وخلافهم . كيف يؤمن بهؤلاء ؟ !
إنه يجوز أن تكون الروايات في الأخبار عنهم ، وعن صفاتهم كذباً ،
كما يقول في معجزات محمد . وإذن كيف يؤمن بالامام على وشجاعته ،
وعمر بن الخطاب وعدالته ، وامرىء القيس وشاعريته ؟ ! لا . انه
لا يثق بشىء من الروايات ، ولا يثق بشىء من المتواترات .
وإذن لعل هؤلاء غير موجودين ، ولعل ما شهر عنهم من الصفات
غير موجود ، وإذن لا رواية ولا تاريخ ولا علم ولا سير . اثنا عشر
الف رواية تكون كاذبة كلها

إذن كل شىء كذب ، وكل شىء خطأ ، وإذن كل شىء شك ؟ !
ياما أهون ديناً يحمل عليه كل من استطاع حمل القلم ، وما أضيع
ديناً يقول فيه ما شاء كل من استطاع الكلام في السياسة والأدب
والقانون ، وما أضعف ديناً يقال لأثبت شىء فيه ، وأقوى شىء فيه :
هذا لم يكن ، هذا كذب ، هذا خلاف سنة الله وخلاف معروف
العقل . وربك لقد هان الدين ، وهان التاريخ ، وهانت الدراسة ،
وهانت كل حرمة في هذا العصر وهذا البلد

أيها الدكتور الجليل : مهلا . فليس من المعروف للعقل أن تكون الروايات في المعجزات كلها كذباً لا يصح منها ولا واحدة . ولئن جاز في كل رواية وحدها أن تكون كذباً ، فلن يجوز عليها كلها الكذب بضرورة العقل . فالمعجزات بجملة متواترة بل من أعظم المتواترات ولينظر الدكتور هل يمكن أن يكون المتواتر كذباً ، ولينظر ، وهو الصديق للعقل ، هل من العقل أن تكون أفراد هذه الروايات كذباً كلها واختلاقاً كلها . وإذن فما هو المتواتر وإذن ما هي الأخبار التي يجب الايمان بها ؟!

ليعلم الدكتور الفاضل أنه يصعب عليه جداً أن يثبت حادثه تاريخية من غير أن يصددها الكذب والتكذيب إذا كان هكذا البحث لديه ، وإذا كان هذا سلطان التكذيب عنده .

لينظر هل يستطيع أن يشك في جميع الأخبار عن علي بن أبي طالب بأنه كان شجاعاً ، وعن أبي بكر الصديق بأنه كان تقياً ، وعن الحجاج بأنه كان ظالماً سفاكاً وأنه كان من عمال عبد الملك بن مروان ، وعن حاتم طي بأنه كان جواداً ، وعن ابنه عدى أنه جاء رسول الله فأسلم وحسن إسلامه .

لينظر الدكتور هل يستطيع الشك في الأخبار عن هؤلاء كلهم ؟! لا نحسبه ، مهما أسانا الظن ، يستطيع أن يشك في ذلك . وإذن ليعلم أن أخبار المعجزات التي يصبر على عداوتها وتكذيبها لا تقل عن أخبار هؤلاء كثرة وصحة . وهذا يعلمه عامة الناس فضلاً عن درس التاريخ والمنطق والفلسفة . لا جرم أن مؤلفنا الضليع بالمنطق وقوانين البحث قد طاش به البحث هنا كثيراً

على أن الدكتور هنا قد نسى أقوالاً له في أثناء الكتاب ، فقد نفى المعجزات هنا جملة وبلا رحمة ، وأثبت في أثناء كتابه الإسرائاء والمعراج ، وأوجع المنكرين تأنيباً ، كما أثبت معجزة الغار تبعاً للمستشرق الفرنسي الذي يعرب عنه . فأى بحثيه الصحيح عنده ، وعلى أيهما يعتمد ، وأيهما الخطأ يا ترى ؟ ! نترك الجواب له

والإسرائاء والمعراج ثابتان في القرآن : الإسرائاء في سورة الإسرائاء والمعراج في سورة النجم^(١) فلن يجرأ مؤلفنا على المجاهرة بتكذيب هاتين المعجزتين وهما قرآنيتان وهما يفسدان عليه بحثه وحجته هنا افساداً لا يستطيع له اصلاحاً . وفي الحق أن كاتبنا كثير النسيان كثير الذهول عما ثبت في كتابه

انظر اليه يقول ص ٢٨٥ : « العظماء لا يخضعون لقانون . وان القوانين التي تجرى على الناس لا سلطان لها على العظماء ولا سلطان لها من باب أولى على المرسلين والأنبياء .. »

« فقد كانت عظمة عيسى ونبوته ورسالته معجزة الله فيه وخرقه لنواميس الكون وسنن الطبيعة وقوانين الخلق من أجله . فمن عجب أن يدعو المسيحيون المبشرون الى الايمان بهذا الخروج على سنة الكون في أمر عيسى وأن يأخذوا محمداً بما هو دونه وما لا يزيد على أنه سمو عن الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم ويسمح به للملوك ورؤساء الدول الذين تقدسهم الدساتير . كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعاً بهذا الرد وكان فيه من غير شك ما يسقط حجة المبشرين ومن ينهجون نهجهم من المستشرقين »

(١) انظر ص ١٧٥ من كتاب مشكلات الأحاديث النبوية

ألا يرى الدكتور ويرى القارىء معه أن مقالته هذه تهدم عليه قوله الذى نحن بسبيله ، والذى نفى به المعجزات حيث أخضع رسول الله أعظم العطاء لقانون الناس الذى لا يفلتون منه ، وحيث حكم بأنه انسان لا يفلت من معانى الانسانية وقيود الانسانية فى قليل ولا كثير ، وحيث جهر بأنه لا معجزات له لأنه انسان خاضع لمعانى الانسانية ؟ ! ألا ترى يا صاح أن الدكتور ، كما ذكرت لك ، كثير النسيان كثير الذهول عما يثبت فى كتابه ، فما سبب كثرة ذهوله وكثرة نسيانه فيما تظن ؟ وألا ترى يا صاح أن هذا القانون الذى وهبه للعظماء وجبه به المسيحيين والمبشرين يقضى على نفيه المعجزات قضاء مبرماً ويحبه نفيه جهاً شديداً .

هكذا يا سيدى الدكتور ، وربك ، الحقيقة المرة ، وهكذا الواقع المغضب والعجب العاجب قوله إن الرسول كان يصارح أصحابه بأنه لا معجزة له وأناؤكد له توكيد الواثق أنه عليه السلام مانق عن نفسه المعجزات ولا صارح أصحابه بذلك ، وأؤكد توكيد الواثق أنه لا رواية فيما زعم لا صحيحة ولا ضعيفة ، وأؤكد له أنه لم يقل قبل كاتبنا عالم بأن محمداً عليه الصلاة والسلام نفى عن نفسه المعجزات ، وإن كان لدى الدكتور نقل فليثبتته فأننا نقبله مع الشكر والحمد الجزيل ، فنحن ممن يتبعون الحق للحق وحده . والروايات التى ذكرها ليست فى سبيل مما أراد ولا تمت اليه بصلة . وقد أصابها بشيء من التحريف اللفظى كما أصابها بالتحريف المعنوى ، وقد حسب أن دعوة محمد لا تحتاج إلى المعجزات ، واذن لا معجزات . هكذا حسب ، وهكذا حكم . دعوة

محمد غنية عن المعجزات فلا معجزات . لا أدري كيف أغناها عن المعجزات ، وكيف لا يجد فائدة مطلقاً في المعجزات ، وكيف لا يقدر أن يفهم أن قوماً من أعداء دعوة محمد قد يؤمنون بالمعجزات ، وقد يزدادون إيماناً لها ، وقد ينفعهم الله بها فتكون لها فائدة كي يؤمن بها مؤلفنا وكيلا يشهد في انكارها وكيلا يلج في عداوتها وتكذيبها ؟ ! !
مأعظم فائدة المعجزات لو أن الدكتور تمهل ، ومأعظم بركة المعجزات لو أنه تريت . فللمعجزات من التأثير على أكثر النفوس ما لا يوجد إلا فيها وما لا يكون إلا لها . وكل يؤثر على قريش أن ترى الماء ينبع من بين أصابع رسول الله عند ما يمسه الظمأ ، فاذا الماء كثير ، وإذا القوم مرتون . وكل يؤثر على الأعرابي أن يطلب من رسول الله نقل الشجرة من مكانها فيرغب رسول الله إلى الله فاذا بها منتقلة ، ويرغب إلى الله لترجع فاذا هي راجعة . لا أحسب أحداً من خلق الله يزعم أن مثل هذه المعجزات لا فائدة فيها ، ولا أحسب أحداً يمارى في أن لهذا النوع من التأثير والسلطان ما لا يوجد في المعجزات العلمية

والناس طبقات في تفكيرهم واستعدادهم : فريق لا يؤمن إلا بالمعجزات الحسية . وفريق لا يؤمن إلا بالمعجزات العلمية . وفريق يؤمن بالنوعين معاً ، ويزداد إيماناً بالنوعين معاً . ومحمد رسول الطبقات كلها . فكان من حكمة الله أن ينوع له المعجزات ، وأن يعزز دعوته بما عزز به دعوة جميع من سبقه من الرسل ، لأنه قد أرسل إلى أمم الأنبياء كلها ، ولأنه رسول الأحمر والأسود . وهل من الحكمة أن يطلب من النبطي والأعرابي والفلاح أن يعقلوا المعجزة العلمية ويدركوا عجازها

ودلائها على النبوة ولا يرسل الله اليهم ما به يطمثون بالمعجزات
الحسية الملموسة ؟!

لا شك أننا إذا جرينا مع العقل لم نبدأ من الايمان بالمعجزات
الحسية الملموسة .

ومؤلفنا يحسب الناس كلهم فلاسفة مثله غير محتاجين الا الى
الدعوة المعقولة ، فاذا هم يسلمون ، واذا هم يؤمنون ، واذا ايمانهم يقوى .
واذا هم يتفانون في الدفاع عن الدعوة المعقولة ، واذا هم يجاهدون دونها
كما فعل الدكتور . ولكن فاته أن كون الشيء معقولا لا يضمن له قبول
الناس إياه

ومؤلفنا يحتج هنا وفي مواضع من كتابه على نفي المعجزات بأنها
خلاف سنة الله . وهو يعجل كثيراً في هذا الحكم وإلا لما زعم أن
إثبات المعجزات يخالف سنة الله وهو يؤمن بالمعجزات لسائر المرسلين
فيا سيدي الدكتور اذا كان جميع المرسلين جاءوا بالمعجزات
فكيف يكون مجيء محمد بها خرقاً لسنة الله ألا يكون حرمان محمد منها
خلاف سنة الله ، عكس ما تدعى هذا هو الحق يا صاح ولا ريب

وكم نخشى أن يكون مؤلفنا يرمى من وراء هذه المقالة إلى الشك في
المعجزات التي في القرآن وغير القرآن لأنه يحرص جداً على الايمان
بسنة الله . يأتي أشد الإباء أن يخالف سنة الله . يخالف الأولين
والآخرين ولا يستطيع أن يخالف ما يسميه سنة الله . وهو يرى مع
هذا أن وجود الخوارق خلاف سنة الله . اذن لا خوارق لا في القرآن
ولا في غيره . كم نخشى أن يكون الدكتور يرمى بمقالته هذه الى هذه

النتيجة المرة ويرمى بالمقدمات الى النتائج وإن خالفت النتائج الأولين
والآخرين ، اللهم إن الخطأ في المنطق والتناقض في المنطق أيسر عندنا
من أن يسير المنطق في سبيله إذا كانت نتائجه تصيب الدين في المقتل

قصة الفداء والذبح

وقال في ص ٤٨ ، تحت عنوان قصة الفداء في القرآن : « وقصة
الذبح والفداء أن ابراهيم رأى في منامه أن الله يأمره بأن يقدم ابنه
قرباناً له ، فيذبحه ويحرقه فسار وابنه في الصباح (فلما بلغ معه السعى
قال يا بنى إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت
افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين
ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن
هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم) »

واعلم من العجب أن يخطئ الدكتور في آيات القرآن التي نقلها
فيزعم أن الله أمر ابراهيم بأن يذبح ابنه وأن يحرقه ويزعم أن ذلك في
القرآن . والقرآن ليس فيه ، كما رأيت في الآيات التي نقلناها لك
ونقلها الدكتور ، ذكر للتحريق ، وإنما فيها الذبح فقط

ولا أدري كيف جاء هذا السهو مع المعية التي لا تدفع ، ومع تحريه
فيما يكتب وما يدع ، كما لا أدري كيف فات ذلك مراجعي تصحيح
الكتاب . أخشى أن يكون هذا دليلاً على هروب القرآن الكريم من
الصدور المسلمة . والكبش الذي اقتدى الله به ابن ابراهيم لم يحرق ،

وإنما ذبح وتصدق بلحمه على الفقراء والمعوزين ، والأضاحى التى
يذبحها المسلمون فى عيد الأضحى هى استئنان بما فعله إبراهيم عليه
السلام

قصة شق الصدر ومنطق الدكتور

وقال فى ص ٧٢ : « أسطورة شق الصدر »
وذكر تحت هذا العنوان أن هناك رواية تقص أن الملائكة
جاءوا محمداً وأناموه وشقوا صدره وخاطوه ، ثم ذكر أن المستشرقين
لم يطمئئوا إلى صدق هذه الحادثة ، ثم اختار هو أنها أسطورة كما ذكر
فى العنوان ، ولم يعبأ بالرواية ، كما لم يعبأ برواية أصدق الرواة وأعلمهم
بالروايات لها وهم شيوخ المحدثين البخارى ومسلم وغيرهما
وكتب فى الصفحة التالية مقبلاً الدليل على شكه فى القصة بل على
نفية لها : « وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى
هذا الموقف من هذا الحادث أن حياة محمد كانت كلها حياة إنسانية
سامية ، وأنه لم يلجأ فى إثبات رسالته إلى ما لجأ اليه من سبقه من
الخوارق . وهم فى هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سنداً
حين ينكرون من حياة النبي العربى كل ما لا يدخل فى معروف العقل
ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع ما دعا القرآن اليه من النظر فى
خلق الله وأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً . غير متفق مع تعبير القرآن
المشركين بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها »
ونحن هنا لا نغنى بمسألة شق الصدر كثيراً ولا يعيننا قبول الدكتور

لها أو رده إياها ، فهي مسألة فردية ، الخطاب في تكذيبها ، وإن تكن واقعة صدقاً ، سهل . فليس في تكذيب الدكتور لها ما يدعونا إلى مؤاخذته ، وإن يكن غيرنا قد يؤاخذ على ذلك ويرى فيه جناية أو شبه جناية على الروايات ، كما قد يرى فيه تشجيعاً لأقوام على رد الأخبار الصحاح لأهون الأسباب ، لمجرد شبهة تثب في الرأس أو تلجلج في الضمير . وما أكثر الشبهات على كل صحيح لدى من يطاوعها ومن ينساب معها ، كما يرى في نفى الحادثة ما يهون من شأن الحديث ورجال الحديث وكتب الحديث في عصر أظهر ميزات أهله الشك والتفاخر بالشك ، والقدح في الأسلاف وما تقوله الأسلاف

فرد قصة شق الصدر لايهمنا هنا كثيراً وإن كان فيه ما ذكرنا وأكثر مما ذكرنا ، وإنما يهمنا هنا منطق نفى القصة ، الدليل على نفى القصة ، حجة الدكتور على أن القصة أسطورة من الأساطير وهو قوله : « وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين ، الخ . . »

فإن في هذه الحجة ما يستحق البحث والدراسة ، وما يستحق أن نشغل التفكير فيه ولو بعض الوقت .

والدكتور هيكل من رجال القانون الحاذقين بالمنطق وصياغة المنطق ، الحاذقين بمنتج الدلائل وعقيمها ، فهل يسمح بأن يسمع قولاً هو به أعلم ، فإن قوانين الدلائل وقوانين المنطق ، وإن تكن لها علوم تدرس ، يشترك في فهمها جميع العقلاء ، حتى البدوى في خيمته ، والزارع في حقله

يرى الدكتور أن حياة محمد حياة انسانية بحتة ، ويرى أن شق الصدر يتنافر مع الحياة الانسانية . إذن لم يشق الصدر . هكذا يصوغ الدكتور برهانه

وأما نحن ، وأما أنت أيها القارئ ، فلا ندري ، كما لا تدري ، كيف ينافي شق الصدر الحياة الانسانية ، وكيف لا يشق صدر الانسان ، ونحن نرى الطب الآن يشق ما يشاء من الصدور ، بل يشق ما يشاء من جسم الانسان ؟! كما لا ندري كيف لا يشق الله صدر من شاء من عباده ويخصه بما يشاء ؟!

وهل من الحياة الانسانية لدى دكتورنا أن يعرج بالانسان الى السماء ، ويسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ، والدكتور يؤمن بالاسراء والمعراج ؟!

وهل من الحياة الانسانية إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه ، والدكتور يؤمن بأن عيسى عليه السلام انسان وان حياته حياة إنسانية ، ويؤمن بأن عيسى كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص باذن الله ؟! وهل من الحياة الانسانية أن يلقي الانسان عصاه فاذا هي حية تسعى ، واذا هي تلقف ما أمامها ، والدكتور يؤمن بأن عصا موسى كانت كذلك ، ويؤمن بأنه كان انساناً وان حياته حياة انسانية ؟!

وهل من الحياة الانسانية أن يلقي الانسان في النار فلا تصيبه بسوء ، واذا هي برد وسلام ، والدكتور يؤمن بأن ابراهيم ألقى في النار وخرج منها سليماً ، ويؤمن بأنه كان إنساناً وبأن حياته حياة انسانية ؟! بل هل من الحياة الانسانية أن يبقى الانسان في النار الموقدة لا يموت

ولا يحيي ، والدكتور يؤمن بأن الذين يكفرون بالله ويحسدون الحق من الأناسي هم في النار وهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، الى غير ذلك من الأمثال التي تصادم هذه الحجة ولا يمكن أن تقابلها ؟ !

إذن الاستدلال على نفي قصة شق الصدر أو غيرها من الخوارق عن رسول الله بحجة أنه كان انساناً وأن حياته كانت حياة انسانية استدلال يذوب أمام المنطق الصائب ، ولا يقف أمام البحث الصحيح ، لا طويلاً ولا قصيراً .

والدكتور يستدل على نفيه القصة بأنها لا تدخل في معروف العقل ، أى إن العقل لا يجيزها ، بل يراها من طائفة المستحيلات . ونحن وإن توقفنا في كل شيء أو شككنا في كل شيء فاننا لا نستطيع أن نشك وأن نتوقف في أن العقل لا يأتى أن يشق الله صدر محمد أو غيره من عباده ونحن في زمن الجراحة والجراحين

ومثل عملية شق الصدر يقع كل يوم على علم من الدكتور ، بل على علم ممن هو أقل من الدكتور . ولو أن العقل يأتى شق الصدر ، ويأتى جوازه لكان إياؤه لسائر معجزات الأنبياء التي ذكرناها والتي يؤمن بها الدكتور أشد وأقوى . والعقل في حكمه على الأشياء بالاستحالة والجواز ، لا يفرق بين زمان وزمان ، ولا بين مكان ومكان ، كما لا يفرق بين نبى ونبى ، فلا يفرق بين عيسى ومحمد كما لا يفرق بين محمد وموسى

فاذا كان من المعروف للعقل معجزات موسى وعيسى وغيرهما ، لم يكن من المجهول للعقل مسألة شق الصدر يقيناً ، والا لو عرف

العقل تلك الخوارق للأنبياء ، ولم يعرفها خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام ، لم يكن عقلا بل كان وهما زائلا وعاطفة غير مضبوطة . وإذا لا بد أن يعرف العقل هذه الخوارق كلها أو يجملها كلها . وأما أن يعرفها لجميع الأنبياء وينكرها لمحمد . فشيء لا نعرفه ولا نرضاه من العقل ، وإلا لثرنا عليه ولما تفاخرنا به وتهاجونا بفقده

والدكتور يستدل على كذب القصة بأنها تبديل لسنة الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وأما نحن وأنت أيها القارئ ، فلا نعلم أن هذه القصة تخالف سنة الله ، وأنها تبديل لها ، وما نحسب القراء يعلمون ذلك . إن إثبات هذه القصة لرسول الله إثبات له من حيث هو رسول لا من حيث هو إنسان فقط . فان كانت سنة الله ألا يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء الذين سبقوا محمداً أمكن أن يقال إن سنة الله تأبى أن يخلق خارقة لمحمد عليه السلام وأمكن أن يقول دكتورنا إن سنة الله التي لا تبدل تأبى شق الصدر . وأما إذا كانت سنة الله المعروفة أن يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء السابقين ، باعتراف دكتورنا واعتراف كل مؤمن بالأنبياء وباعتراف كل مؤمن بالكتب المقدسة ، لم يكن من سنة الله إباء ذلك في حق آخرهم ، ولم تكن سنة الله لتبخل بها على أفضلهم . بل إذا كان الأمر كذلك ، وهو كذلك ، وجب أن يقال إن سنة الله تقضى بأن تقدم لمحمد عليه السلام أنواعاً من ذلك ، وتقضى بأن تمنحه نصيباً كبيراً من هذه المنحة التي تفضل الله بها على سائر الأنبياء : عيسى وموسى وإبراهيم وخلافهم

وأما لو قلنا إن سنة الله وهبت هذه المنحة كل الأنبياء الذين قبل
محمد ، وقسمت عليهم من ذلك ما شاء الله ، فلما أن جاءت عند خاتمهم
وأعمهم ديناً ودعوة حرمة ذلك الفضل حرماناً باتاً ، لخصصنا سنة الله ،
ولخالفناها ، ولما تركناها على نمط واحد

هكذا يجرى البحث ، وهكذا ينتج الامعان في البحث الحق ، لا كما
قال دكتورنا الجليل

على أن العجيب جداً أن يختم برهانه بقوله :

« ويرون ما ورد في ذلك غير متفق مع تعبير القرآن للمشركون
بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها »

ولن نأثم أو نغلط إذا قلنا إن تعبير القرآن للمشركين بأنهم
لا يفقهون ، لم يدل قط على كذب رواية شق الصدر أو غيرها من
الخوارق ، أو قلنا إنه لم يستدل أحد من مفكرى علماء الاسلام ، قبل
الدكتور ، بذلك على كذب هذه الرواية ، أو قلنا إنه لم يقع في بال عليم
بالقرآن منذ ثلاثة عشر قرناً على أن قول القرآن الكريم إن الكفار
لا يعقلون لم يكن دليلاً أو بعض دليل على كذب هذه القصة واختلاقها
وإن استطعنا أن نحمل تعبير القرآن كل رأى في الأرض ، فلن
نستطيع أن نحمل قوله في الكفار إنهم لا يعقلون الدلالة على أن رواية
شق الصدر من أساطير الرواة وأوهامهم

وإن وجدنا لكل رأى في تفسير كتاب الله مخرجاً قد يقبل وقد
ينفق عند فريق من الناس ، فلن نجد لهذا الرأى في تفسير الآيات
مخرجاً .

ونحن لو احتججنا على إثبات هذه القصة بما احتج به الدكتور
على نفيها ، لكان احتجاجنا أقرب إلى الواقع ، ولكان أكثر توفيقاً في
ميزان النظر

وبيان ذلك أن الكفار مكذبي محمد عليه السلام كانوا يكذبونه كلما
أخبرهم بما لم يعتادوه وبما لم يقع تحت حسهم ، كما كذبوه لما أخبرهم
بالأسراء والمعراج ، وكما كذبوه لما أخبرهم بأن في النار شجرة الزقوم ،
وقالوا كيف تبقى الشجرة في النار ولا تحترق ، وكما كذبوه لما أخبرهم
بأن الملك يأتيه وهم لا يرونه ، وكما كذبوه ، إذ أخبرهم بالبعث
وبحشر الأجسام ، قائلين : إن ذلك غير مستطاع ، وكما كذبوه إذ أخبرهم
بما خلق الله على أيدي عباده السالفين من الخوارق والمعجزات ، وكما
كذبوه في كل ما أنبأهم به مما لم تتسع له آفاق عقولهم الضيقة بحجة أنهم
لم يروه ولم يحسوه .

هكذا كان شأن رسول الله ، وهكذا كان شأن الكفار معه : يخدشهم
عن أسرار الله وعن شؤونهم فيقابلونه بالكفران محتجين بأنهم لم يروه
فهو غير مستطاع وغير داخل في حدود القدرة ، فيرد الله عليهم ويرد
عليهم رسوله بأن الله على كل شيء قدير وبأنه لا يعاجز ولا يغالب ،
فما لهم لا يعقلون ولا يتدبرون ، وما لهم لا يستدلون بما رأوا على ما لم
يروا بما يدل على شمول قدرة الله وعظيم سلطانه ؟ ! فما لهم ينكرون
قدرة الله على خلق هذه الخوارق ، وعلى شق صدر رسوله ، وعلى
الأسراء والمعراج ، وفي أنفسهم الدلائل على ذلك ، وفيهم الدلائل

القاهرة على ما أنكروا وجحدوا؟! فما لهم لا يفقهون وفي أنفسهم
أفلا يبصرون؟!

هم ينكرون الخوارق والمعجزات ، وفيهم الخوارق والمعجزات ،
وفي خلقهم وموتهم وحياتهم الخوارق والمعجزات ، وفي أحقر
عضو فيهم وأبسط تكوير في أجسامهم توجد الخوارق
والمعجزات

ينكرون على الله أن يشق صدر رسوله وهم يشاهدونه يشق لهم
الاسماع والأبصار ، يشق لهم الأفواه والآذان ، ويشق لهم الأصابع
والأعضاء ، ويشق لهم ويشق ، ويبدع في الشق ويحكم في الشق . فما
لهم إذن ينكرون تلك الخوارق؟! أفليست لهم قلوب يعقلون بها
ما يشاهدونه ويستدلون به على ما لم يشاهدوه؟! فما أضيق عطن من
كذب بما لم ير ، ومن جحد كل ما لم يقع تحت حسه! فما أضيق عطن
الكفار وأقل عقولهم وتفكيرهم!

ولو أن القوم رزقوا شيئاً من سعة التفكير ، وشيئاً من الاختراع
في التعقل ، ما أكبروا هذه الخوارق على قدرة الله ، ولكن القوم
لا يعقلون ولا يتدبرون ، فهم كالأنعام لا يصدقون إلا بما يبصرون ،
فهم فاقدون حاسة المنطق ، تلك الحاسة التي تستدل بالمقدمات على
النتائج ، وتعلم المجهول بالمعلوم .

ألا ترى بعد هذا أن هذه الحجة التي احتج بها الدكتور على
كذب القصة هي في الواقع في جانب من ثبوت القصة؟!
وألا ترى بعد أن هذه الحجة لا تدل البتة على ما أراد الدكتور؟!

ثم ألا ترى ، بعد ما قدمنا ، أن من يأبى الايمان برواية شق الصدر
بالدليل الذى ألفه مؤلفنا فى كتابه ، لا بد أن يأبى بنفس الدليل جميع
الخوارق والمعجزات فى كل زمان ومكان ، ولا بد أن يأبى ذلك فى حق
عيسى وموسى وغيرهما ، ولا بد أن يأبى الايمان بما ذكره القرآن من
تلك الخوارق ؟ !

وإننا لو ذهبنا نقيس ، أو لو أردنا الذهاب مع القياس الصائب ،
لذهب بنا القياس إلى الايمان بالخوارق من شق صدر وخلافه ، أو لما
كان القياس مانعاً من الايمان بذلك ، فاننا نرى التخصيص قد نال
مخلوقات الله كلها. ننظر الشمس فنجد الله قد خصها بخصائص لا توجد
فى غيرها ، وننظر إلى القمر فنجده كذلك ، وننظر إلى الأرض فنجدها
كذلك ، وننظر إلى سائر الأجرام العلوية فنجدها كذلك ونجد فيها
التخصيص والتمييز ، بل ننظر إلى كل شىء فى هذا الكون من بسيط
ومركب فنجد التخصيص قد ساد ، فنجد خصائص فى النار لا توجد
فى الماء ، كما نجد فى الماء خصائص لا توجد فى الهواء . وهكذا كل شىء
فى الأرض والسماء

فاذا كان الله قد عم خلقه بالتخصيص فكيف نأبى التخصيص لرسل
الله ، فنأبى أن يكون الله قد خصهم بشىء ، ونصر على أن يكونوا كسائر
الناس تماماً ألا يكون هذا منازعة لسنة الله وانحرافاً عن المنطق الصائب ؟ !
قبل الجواب على هذه الأسئلة نرجو الدكتور ، ونرجو القراء ،
ونرجو كل من يعشق الحق للحق ، أن يفكروا فى ذلك جيداً وأن
يحكموا الحق فيما يقولون وما يصدقون

محمد نعام موسى التوحيد؟

وقال في ص ٢٧ : « في مصر نشأ موسى وفي حجر فرعون تربى وتهذب وعلى يد كهنته ورجال الدين من أهل دولته عرف الوحدة الالهية وعرف أسرار الكون »

ولا أظن قارئاً يرضى مقالة الدكتور هذه ، لا أظنه يرضى أن يكون موسى نبي الله وكليمه قد تلقى وحدة الله وتوحيده وعلم أسرار خلأته وما فيها من آيات ومن عبر ومواعظ على أيدي كهان فرعون ورجال دينه ، لا أظن القارئ يرضى ذلك البتة ، بعد أن قص الله عليه ، وبعد أن قص عليه التاريخ ، ما كان يزعم فرعون لنفسه من ألوهية وربوبية ، وما كان يجاهر به من إنكار للاله الحق سبحانه وجمده ، وبعد أن قص التاريخ طاعة قومه له ورضاهم بما فرض عليهم من العبودية له ، لا جرم أن القارئ سوف يعترف أن هذه القولة من أعظم زلات القلم

كم ينفر المسلمون وكم يغضبون أن يقال إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تلقى التوحيد وعرف الله وعرف أسرار خلقه على أيدي كهان العرب وعلماء الوثنيين ، أو على أيدي أحبار اليهود ورهبانهم ، أو على أيدي علماء النصارى وقسيسهم ، أو يقال تلقى ذلك على أيدي الشعراء والحكماء .

إن المسلمين عموماً ، ومن أولهم الدكتور ولا شك ، لا يرضون ذلك ولا يستسيغونه ، فكذلك لا يمكن أن يقبلوا هذه المقالة في حق نبي من أنبياء الله لا موسى ولا غيره

ولقد كان من اليسير جداً على كاتبنا العظيم أن يراجع آيات القرآن للعلم بأن موسى عليه السلام قد تلقى وحدة الله عن عالم السر والنجوى ، وقد كان من السهل مراجعة قوله تعالى من سورة الشعراء :
(وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون)
إلى قوله : (قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذن وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلنى من المرسلين) الخ الحوار بين نبي الله موسى وبين فرعون

فهذه الآيات فى غاية الصراحة فى أن فرعون وقومه ما كان لهم علم بهذا الشأن ، شأن توحيد الله ، بل ولا كان لهم علم به تعالى . فما أبعد أن يعلموا موسى ذلك التوحيد الذى لم يرضوه منه ولم يقابلوه إلا بالكذب والكفران كما هى صريحة بأن نبي الله موسى ما هدى إلى هذا العلم وإلى هذا النور الباقى إلا بعد أن فارق فرعون وملاؤه الظالمين

هل تحبل العقيم من الغيرة ؟

أما ما رآه مؤلفنا ص ٤٨ من أن سارة حملت من الغيرة ، وأن الغيرة قد أذهبت عنها العقم ، فهذه مسألة نفسية ، ولسنا لسوء الحظ من علماء النفس ، فلن نقدر على قبولها أو نفيها على حذو العلماء النفسيين . ولكن الأمر الذى لا ينبغى أن تغفل عنه ، كما لا ينبغى أن يغفل عنه كاتبنا ، هو أن قصة حمل سارة قد ذكرها القرآن فى آيات . ولنضعها أمام القارئ الكريم لينظر أين تتجه ، وليعلم مبلغ قول مؤلفنا من الصحة ،

وهل يمشى الآيات أم ينافيها ، والحكم للقراء وحدهم في أنفسهم :
 قال تعالى في سورة هود : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا
 سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل
 إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم
 لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق
 يعقوب ، قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء
 عجيب ، قالوا اتعجبين من أمر الله رحمة وبركاته عليكم أهل البيت إنه
 حميد مجيد)

وقال في سورة الذاريات : (هل أنك حديث ضيف إبراهيم
 المكرمين) إلى قوله : (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه
 بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم
 قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم)

ولقد كنا نسمع العامة يقولون إن غير المرأة قد تؤثر في العقم
 وقد تكون سبباً للحمل وقد تحمل المرأة إذا ما واثبتت الغيرة نفسها .
 وكنا نظن أن المسألة مسألة عامية صرفة لانصيب لها من التحقيق
 والعلم ، فإذا بنا نرى كتابنا الأعلام العصريين يقررونها ويؤمنون بها ،
 وإذا بنا نعلم أن علماء النفس أو بعض علماء النفس يقولون ذلك
 ويؤمنون به ، وإذا بنا نجد ما كان يعد بالأمس خرافة اليوم حقيقة
 وعلماً ، وإذا بنا نرى الآراء تتبدل والأنفس تتغير

رحلة محمد عليه السلام الأولى الى الشام

وقال ص ٧٦ : « إن محمداً عليه السلام في رحلته الأولى إلى الشام قد لقي أخبار النصارى ، ووقف على النصرانية ، وسمع من الكتب المقدسة ، وسمع منهم بعض أخبار الغيب التي نبأ بها القرآن فتحققت نبوءته »

وليس للدكتور على هذه المقالة من برهان غير قول المستشرقين الذين ينكرون نبوة محمد ، والذين ينكرون أن يكون بينه وبين السماء صلة ، والذين يقولون إن ما جاء به من توحيد ومن أمور صائبة صحيحة غالبه مأخوذ من علماء عصره . وهذا قول المشركين في زمنه عليه السلام . قال الله تعالى في سورة النحل : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) . وقال في سورة الفرقان : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) والقرآن مصرح كل التصريح بأنه عليه السلام ما كان يعلم من ذلك شيئاً قبل أن يوحى إليه . وفي سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) . وفي سورة الشورى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)

ولعلمها إحدى عجائب الدنيا أن يزعم الدكتور أن طفلاً يبلغ من العمر إثني عشر عاماً على قول وتسعة أعوام على قول آخر ، طفلاً

عربياً فقيراً يتيماً ، يذهب إلى بلاد الشام ، بلاد الحضارة والغنى والكبرياء ، فتتنزل له أخبارها ورهبانها من سماء كبرياتها وتأهلها لتجاده في الدين ولتقفه على أسرار النصرانية ، ولتسمعه من أخبار الغيب ومن كتبهم المقدسة المضمون بها على غير أهلها . ونحن نعلم ، والدكتور يعلم ، ما كان للأخبار في ذلك الزمن من العظمة ومن الكبرياء والتأله . نعم ، لعل هذا الزعم إحدى عجائب الدنيا

رحلته عليه السلام (الثانية)

وذكر ص ٨٣ أنه عليه السلام قد اتصل في رحلته الثانية إلى الشام بالنصرانية ، والتقى بالأخبار والرهبان ، وجادلهم وجادلوه في دين عيسى ، وحادثهم وحادثوه .

وهذا أيضاً مقال منكرى نبوته عليه السلام ، وهو خيال محض لا نصيب له من الرواية ولا من الحقيقة ولا من المنطق . فلقد يصعب على المنطق أن يسلم أن شاباً عربياً أمياً فقيراً يذهب لبلاد الشام ليتجر فيقف على النصرانية ويلتقى بالأخبار والرهبان فيجادلوه في دينهم وفي دين عيسى ، ويحادثهم ويحادثوه . أجل ، هذا شيء كثير على المنطق ، وشيء لا يستطيع أن يسلم به أبداً

هل طأه عليه السلام مشغولاً بتلقى البهرجة ؟

وذكر ص ٧٧ أنه عليه السلام كان مشغولاً بتلقى البلاغة في أسواق العرب على الشعراء والحكماء ، مشغولاً بتلقى الحق من علماء

اليهود والنصارى ، وما يقصونه عن كتبهم المقدسة وعن موسى وعيسى
وهذا أيضا ليس له عليه من دليل سوى قول الجاحدين رسالته
عليه السلام

وإلى هذا يعززون ما في القرآن من بلاغة ومن سمو في التعبير ، وما
فيه من حق ومن تاريخ صائب صحيح ، ومن أخلاق فاضلة عليا
وهذا كله خلاف ما أجمع عليه علماء الرواية وعلماء التاريخ
من أنه عليه السلام كان مبتعداً عن ذلك كل الابتعاد ، وكان نافراً
منه كل النفور . كان بعيداً عن قومه وعن مجالسهم وعمما فيها من قريض
ومن بلاغة

ولقد صح في كتب الحديث الصحاح أنه كان ينشد الأشعار
فلا يأتي بها على وجهها ولا يأتي بها موزونة ، فيقول له أبو بكر : بأي
وأى أنت يا رسول الله لست بشاعر ولست براو للشعر .

ولقد يكون من اليسير على العرب أخصام محمد ، إذا كان الأمر
كما زعم الدكتور ، أن يقولوا له : إن القرآن الذي جئتنا به ماهو إلا
من بلاغتنا التي تلقيتها في أسواقنا ومحافلنا . وقد ذكر الله في القرآن أنه
تعالى حرمه تعلم الكتابة والقراءة لئلا يطعن عليه المخالفون بذلك
فيقولوا : إنك تعلمت وإنك قرأت .

ابراهيم يدعو الناس الى احترام عقاه

ويذكر ص ٤٧ أن نبي الله ابراهيم كان يدعو الناس إلى احترام
عقله ، كما ذكر هنالك أن الذي هداه إلى التوحيد وإلى محاجة المشركين
طول تفكيره وكثرة إمعانه في البحث

مجيء إبراهيم إلى مصر

وفي ص ٤٨ عبث بقصة إبراهيم لما جاء إلى مصر مع زوجته سارة عبثاً كنا نربأ به عن أن يقع فيه . قال في الصفحة المذكورة : « ومن فلسطين ارتحل إلى مصر ، وبها يومئذ ملوك العماليق ، وكانت سارة جميلة وكان الملوك الهكسوس يأخذون الجيلات المتزوجات ، فأظهر إبراهيم أن سارة أخته خشية أن يقتله الملك ليتخذها له زوجاً ، فرأى في المنام أنها ذات بعل ، فردّها إلى إبراهيم بعد أن عاتبه وأعطاه هدايا من بينها جارية تدعى هاجر ، ولما كانت سارة قد سلخت السنين الطوال مع إبراهيم ولم تلد ، فقد دفعته ليدخل بها جبر ، فدخل بها فلم تبطن ، أن ولدت له إسماعيل ولما شب إسماعيل وترعرع دبت الغيرة في نفس سارة فحملت ثم ولدت إسحاق »

هذا سياق كتاب حياة محمد . والسياق الصحيح هكذا : « عن أبي هريرة عن رسول الله عليه السلام قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : اثنتين منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) . قال وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقبل له إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها ، فقال من هذه ؟ قال أختي ، فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مسلم غيري وغيرك ، وإن هذا سألني عنك فاخبرته أنك أختي فلا تكذبنني ، فأرسل إليها ، فلما

دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ ، فقال ادعى الله لى ولا أضرك
فدعت فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال ادعى
الله لى ولا أضرك فدعت الله فأطلق ، فدعا بعض حجبه وقال إنك
لم تأتني بانسان إنما أتيتني بشيطان ، فأخدمها هاجر ، فأتته وهو يصلى
فأوماً بيده : مهيم « أى ما ذا حصل » قالت رد الله كيد الكافر فى نحره
وأخدم هاجر ، رواه البخارى ومسلم أصح كتب الرواية بلا نزاع
ولتنظر ما بين السياقين من خلاف ، ولتنظر لماذا عدل الدكتور
عن السياق الصحيح إلى سياقه الذى رويناه . أخشى أن يكون الحامل
له على هذا فراره من المعجزة أو الخارقة التى وقعت على يد سارة

عبادة خديجة لـلـصنام

ويذكر ص ٩٠ ، ص ٩٢ أن خديجة رضى الله عنها كانت تعبد
الأصنام ، وكانت تقرب لها القرابين والنحائر فى الوقت الذى كانت فيه
زوجة لرسول الله . ويذكر أن رسول الله كان يراها وكان يرى
عبادتها فلا ينكر عليها شيئاً ولا يعرفها أنها أخطأت
هذا . وهو يذكر أن رسول الله كان مبغضاً للأصنام ، مبغضاً
لعبادتها ولعبادها ، منذ كان صغيراً ومنذ عرف الخير والشر

هل طامع عليه السلام ينسى نفسه ؟

ويذكر ص ٩٢ أن رسول الله كان فى أوقات ينسى نفسه وينسى
طعامه وينسى كل شئ فى الحياة

وهذا حال المرضى والمصروعين و « المجاذيب » لا حال العاقل
الرزين الثابت ، إلا أن يكون الدكتور يكتب شعريات لا علميات .
والشعر هو الذى تجوز فيه المبالغة ويروج فيه التهويل . والعلميات
عليات فحسب

هل كانت خديجة تؤذى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويذكر ص ١٠٠ أن خديجة ، تلك الزوج البارة العطوف الرحيمة ،
كانت تقول لزوجها رسول الله فى أخرج ساعاته وأشد أوقاته : ما أرى
ربك إلا قد أبغضك .

وخديجة التى يزعمها دكتورنا جبهت زوجها رسول الله بهذه المقالة
الجانفة الموجعة حقاً هى التى قالت له عند فزعه الأكبر « والله لا يخزيك
الله أبداً » وهى التى يزعمها دكتورنا وزير صدق لرسول الله .
والرواية التى خدع بها هى رواية ضعيفة

دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة

ويذكر ص ١١٢ تحت هذا العنوان أشياء أنقر منها كل النفور ،
أشياء يستوحش منها الفؤاد المؤمن ، ويزعمها أساس الدعوة المحمدية .
وربما دل مقاله على أن دعوة محمد ودينه أشياء نظرية استدلالية لا تمت
إلى السماء بسبب ، ويزعم أيضاً أن هذه الطريقة تقتضى الباحث أن
يجرد نفسه من كل شئ ومن كل عقيدة سواء أكانت حقاً أم كانت باطلا

فمثلاً إذا أراد مسلم أن يبحث الاسلام والأديان وجب عليه ان يجرد نفسه من كل عقيدة ، وأن يجرد نفسه من الايمان بالله ، ومن الايمان بمحمد عليه السلام ، ومن الايمان بالاسلام ، ومن الايمان بكل عقيدة ، ثم يشرع في بناء عقيدته من جديد !
ولينظر القارئ ما هذا ؟ ! ولينظر هل هذه الطريقة الحديثة الاسلامية الحمدية ، كما يزعم ، من دين الاسلام في شيء ؟ ! أو هل هي من المنطق الصحيح في شيء ؟ !

عهد رسول الله على بعضه نساء

ويذكر ص ١٥٣ أن رسول الله قد أحد على زوجته خديجة ويظهر أن الدكتور لم يعلم أن الحداد خاص بالنساء ، وأن الرجال ليس عليهم حداد

هل كان رسول الله يواد اليهود

وهل كانوا موحدين ؟

ويذكر ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ أن رسول الله كان يواد اليهود ، ويتقرب اليهم ، كما يذكر أن اليهود كانوا موحدين .
ولم ير بأساً فيما قال ، وإن كان القرآن يقول : (وقالت اليهود عزيز ابن الله) ويقول : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ويقول : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)

والعجب العاجب أنه يذكر في مواضع من كتابه أن اليهود كانوا معنيين في الشرك والكفر ، وكانوا معنيين في عداوة رسول الله وفي مناوآته ، كما كان هو معنأ في عداوتهم ومناوآتهم

غائط

وفي ص ٣٠٢ يعذر طائفة من المنافقين ، قد حوا في رسول الله ، وقد حوا في صدقه ، وأسرفوا في التهمك به حتى قالوا له في بعض أيامه العصية الرهيبة : « كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصرا وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط »

هل أقر الاسلام شيئاً من الوثنية ؟

ويذكر ص ٣٩٦ أن سدانة الكعبة وسقاية الحجيح وثنتان أبقى عليهما الاسلام وجعلهما من دين المسلمين .

وهذه المقالة من أعظم الأخطاء التي اصطدم بها الدكتور . ونحن لا نستطيع أبداً أن نجد لقوله هذا من تأويل صحيح ، فانه إن كان يريد أن السقاية والسدانة كانتا مما يعمله المشركون . فقد كان الحج ، وكان الطواف بين الصفا والمروة وفي الكعبة ، وكان شئ كثير ، يعمله المشركون ويؤدونه على أنه دين وعبادة لله . فلماذا استثنى السقاية والسدانة من أعمال المشركين ؟ ! إن في الأمر شيئاً ، وإن تحت مقاله لأمرأ . وأتذكر أن أبا العلاء المعري كان يزعم أن الحج عمل وثني ، وكان يعيب الاسلام بذلك

المقارنة بين المسلمين والغربيين

ويذكر ص ٤٩٤ أن نظرات أمم الغرب اليوم في علوم الطبيعة وأبحاثهم الجديدة فيها هي النظرات التي تزيد الإنسان إيماناً بربه ، وهي النظرات التي حث عليها القرآن كثيراً للدلالة على الله وعلى عبادة الله ، وهي نظرات المسلمين الأولين في هذا الكون .

ولعل مقارنة الدكتور بين النظرتين : نظرة المسلمين ونظرة الغربيين ، أو نظرة القرآن ونظرة الغرب في هذه المخلوقات من أبن الأخطاء التي وقع فيها .

إن نظرات الغرب في الطبيعة وفي الكون بأسره هي نظرات مادية صرفة يراد بها استخدام المادة واستخدام الكون بأسره في مقارنة الإنسان وفي التغلب على عباد الله بغياً وعدواناً . نظرات يراد بها استخدام الخلائق كلها في الشهوات واللذائذ وفي إرضاء النفس الجاحجة الحريصة . نظرات بريئة من الروحانية ، بريئة من الإيمان والاعتبار . وهذه النظرات من أبعد النظرات عن الله وعن الدلالة عليه ، من أبعد النظرات عن أن تثمر لأصحابها غير التدمير والتخريب والتقتيل . وهذا هو الواقع اليوم في الغرب .

وأما نظرات المسلمين ونظرات القرآن فهي نظرات روحية سامية كل السمو . هي نظرات اعتبار واتعاظ . نظرات استدلال على الخلاق العليم العظيم . هي نظرات بريئة من الطمع والمادة وهل تلتقي النظرتان حتى يلتقي الشرق والغرب وحتى يلتقي

الايمان والكفر ؟ ! وما مثل النظرتين إلا رجلان وقفا أمام قصر خفم مشيد ، وقفا ينظران إليه ، أحدهما ينظر إليه ليعلم كيف يهتدى إلى سرقة ما فيه والاستيلاء عليه بالعسف والجبروت واستخدام ما يجد فيه من ذهب وفضة وأموال في ظلم صاحب القصر وفي ظلم خلق الله وفي استخدامه في الفسوق والفجور . وهذه نظرة الغربيين في هذا الكون .

وثانى الرجلين ينظر إليه معتبراً بحقوق بانيه وحسن صنعته ، ذا كراً بفضل الله وكثرة نعمه على مالهكه ، ذا كراً ما يجب عليه من الحقوق والواجبات للفقراء وأبناء السبيل ، ذا كراً كيف فضل الله بعض العباد على بعض في الرزق والعطاء حكمة منه ورحمة وعدلا ، ذا كراً كيف هدى الله الانسان لأن يبنى لنفسه أمثال هذا القصر للجمال وللحيطه من عدوان الطبيعة الثائرة ، راجعاً الفضل كله والمنه كلها إلى الله في هذا القصر وفي كل شيء يسد الانسان . وهذه النظرة هى نظرة المسلمين الأولين ، وهى نظرة القرآن الكريم ، وهى النظرة التى أرادها القرآن من أهل القرآن . ولتنظر هل تصطلح النظرتان ؟ !

الغربي ينظر إلى الكون قائلاً : كيف أصنع بهذا ؟ . والمسلم الحق ينظر إلى الكون قائلاً : سبحان خالق هذا (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)

المسلم يبحث فى الكون ليؤمن بالله . والغربي يبحث فى الكون لينكر الله . ولهذا فالمدارس العصرية الأوربية هى مصانع إلحاد وكفر برب العالمين

مذهب وحدة الوجود

وهناك في كتاب هيكل مسألة خطيرة كل الخطورة . هذه المسألة هي أنه يقرر في مواضع من كتابه وحدة الوجود بعبارات مختلفة في الوضوح . فقد ذكرها ص ١٠١ ، ص ١١٣ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢٣ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ . وقررها في مواضع أخر ، وأكثر من ذكرها مما يدل على شدة اقتناعه بالمذهب وإيمانه به .

وقال في ص ٤٣ : « النفوس الضعيفة أعجز من أن تسمو للاتصال بالوجود كله ولا إدراك وحدته ممثلة فيما هو أسمي من كل ما في الوجود ، ممثلة في الله ذي الجلال ، وهي لذلك تقف عند مظهر من مظاهر هذا الوجود كالشمس أو القمر أو كالنار ثم تضعف عن الارتفاع بنفسها إلى تمثل هذا المظهر فيما يدل عليه هو أيضاً من وحدة الوجود .

« هذه النفوس الضعيفة تسكت في بوثن يتمثل لها فيه معنى مبهم وضع من الوجود ووحدته فتتصل بهذا الوثن وتخلع عليه من صور العبادة ما لا تزال تراه في بلاد العالم جميعاً ،

وكلمته هذه أكثر كلماته إيقاعاً في الشك . ولا أحسبني متجنباً أو مخطئاً إذا قلت إن قوله هذا ربما دل على أن المشركين كانوا غالطين لأنهم عبدوا بعض هذا الوجود كالشمس والقمر مقتصرين على ذلك ، ولو أنهم عقلوا واتسعت مداركهم وآفاق عقولهم فعبدوا الوجود كله ممثلاً في ذات الله لكانوا راشدين وكانوا غير مشركين . ولكن القوم أضعف وأعجز من أن يسموا إلى الاتصال بهذا الوجود كله لأنه مثل في ذات الحق سبحانه : أقول لا أحسبني متجنباً ولا مخطئاً إذا قلت

إن كلام الدكتور ربما أعطى ما ذكرت وربما كان رامياً إليه من قرب أو من بعد .

مذهب وحدة الوجود تكلم فيه علماء المسلمين الأوائل كلاماً كثيراً أو كتبوا فيه كتباً خاصة ، تكلموا فيه بين صوفية تأميين عن الحق مؤمنين بالمذهب داعين إليه ، وبين آخرين ناقضين عليهم رادين على المذهب مشتدين في الرد . والمذهب يؤول إلى انكار الله . يرمى إلى تعطيل العالم من الخالق . يرمى إلى القول بالطبيعية وبقدم العالم . يرمى إلى هدم ما جاءت به الكتب المقدسة من الأساس . المذهب يقول إن الوجود واحد كله فليس هنالك خالق ومخلوق ، كما ليس هنالك عابد ومعبود ولا قديم وحادث . فالوجود إما أن يكون قديماً كله أو حادثاً كله . وأما أن يكون منه قديم ومنه حادث ومنه عابد ومنه معبود فليس كذلك لأن الوجود واحد ولأن وحدته تنافيه . ولقد قال هذه المقالة طوائف انتسبت إلى الاسلام وكتبت في المسألة ، وأخيراً وقعت في الجحود والإلحاد ، حتى قال بعض هؤلاء وهو من أئمتهم المشهورين :

العبد حق والرب حق يا ليت شعري من المكاف ؟ !
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب ، أنى يكلف ؟ !
وقال آخر : إن النصارى ضلوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة ،
ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين

ولأهل هذا المذهب العجيب أقوال ينفر منها من يقرؤها ولا يطبق سماعها فضلاً عن أن يؤمن بها
واذن أنا خائف على الدكتور من هذا المذهب . خائف عليه

من أن يكون قد قرأ البعض من كتب في المسألة ، فراقه ما سمع وحسبه
فلسفة وتعمقاً في الدراسة ، ولم ينفذ إلى صميم المراد ، ولم يصل غاية
المذهب ، لأنه لم يألف قراءته ، فلا غرابة أن تسمو فوقه أغراضه
وأسراره ، ولا غرابة ألا يطل على آفاق هذا المذهب

الله في نظر الدكتور

قال في ص ١١٣ : « فلا بد لهذا الكل » أى الكون « من روح
يمسكه ، منه نشأ وعنه تطور واليه يعود ، هذا الروح وحده هو الذى
يجب أن يخضع له الانسان ، أما سائر ما فى الكون فهو خاضع لهذا
الروح كالانسان سواء . والانسان والكون والزمان والمكان وحدة ،
هذا الروح جوهرها ومصدرها »

هذا هو الله في نظر الدكتور ، وهذا هو الذى تجب له العبادة وحده ،
فالله عنده روح هى جوهر لهذه الخلائق . ولا أدري ماذا يريد بجوهر
أهو يريد أنه معنى الكون وصفته أم يريد أن الكون هو معناه
وصفته أم يريد غير ذلك ؟! ولا نعرف أحداً من المسلمين سمي الله
روحاً وجعله جوهرآ للخليقة قبل مؤلفنا فى كتابه الجديد الطريف .
وعلى كل حال أنا أنظر الى هذا القول بعين الحذر والريبة

الآخرة في رأى الدكتور

قال ص ١٠١ : « الآخرة التى تحيط فيها النفس بكل الوجود
فى كمال وحدته ، والتى يتلاشى فيها المكان والزمان ، وتنسى

فيها اعتبارات هذه الحياة الوضيعة الأولى الآخرة التي يصير فيها الضحى
ولألاء شمس الباهر، والليل ودجاء الساجي، والسموات والكواكب
والأرض والجبال كلا واحداً تتصل به الروح الراضية المرضية. هذه
هي الحياة التي يجب أن تكون إليها الغاية من سفر هذه الحياة «

هذه هي الآخرة عند مؤلفنا. وآخرته هذه مخالفة لآخرة جميع
المسلمين. ولا نعلم من أين علم بأن النفس تحيط بكل الوجود في كمال
وحدته هنالك، وأن المكان والزمان يتلاشيان وتنسى كل الاعتبارات،
كما لا ندرى من أين علم أن الضحى والشمس والليل والظلام
والسموات والكواكب وكل شيء يكون كلا واحداً تتصل به الروح
الراضية !!

والذي يعرفه المسلمون أن الليل والنهار والشمس والقمر وهذه
الخلائق التي عددها الدكتور تنطير يوم القيامة وتتبعثر
ثم هل يسمح الدكتور بأن يدلنا على معنى اتصال الروح الراضية
المرضية بهذه الخلائق كلها في الآخرة ؟!

هل يرى انه الروح قديمة ؟

قال ص ١٢٠ : والروح !!! الروح الذي هو من أمر الله،
الروح المتصل بأزل الزمن وأبده، هذا الروح ما عمل صالحاً،
فلا حجاب بينه وبين وجه الله ولا سلطان لغير الله عليه «
هذه هي الروح في قول الدكتورنا فهي متصلة بأزل الزمن
وأبده. إذن هي قديمة عنده، وإذن هي لا بداية لها لأنها متصلة بأزل

الزمن وأبده . ولعله لا يدين مذهب التناسخ ؟ ! مذهب التناسخ الذى ينسكركه جميع المسلمين . وكلنا والحمد لله أرواحنا من أمر الله ، ولكنها ليست متصلة بأزل الزمان وأبده . ولا أحسب أحداً من الموجودين اليوم يعتقد أن روحه متصلة بأزل الزمن وأبده . والمسلمون يعلمون كافة أن هنالك حجاباً بين أرواحهم ، وإن كانت صالحة بارة ، وبين الله . فلا تستطيع روح ، مهما كانت سامية أن تتصل بالله الاتصال الحقيقى ، وأن يزال الحجاب بينها وبين الله . وقد صح فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محدثاً عن الله : « حجابيه النور » وقالوا له عليه السلام : هل رأيت الله ؟ فقال : « نور أنى أراه » وفى القرآن الكريم أن نبى الله موسى طلب منه تعالى الرؤية فلم يعط ما طلب .

الايماه فى نظر المكتور

وفى ص ٤٩٢ يفسر الايمان تفسيراً يحمل على الشك والريب ، تفسيراً يخالف فى ظاهره معنى الايمان عند الاسلام والمسلمين . ولتسمع عبارته :

« والايماه شعور روحى يحس به الانسان يملأ نفسه كلها اتصل بالكون وفى فى لانهاية المكان والزمن وامتشل الكائنات كلها فى نفسه »

ولننظر ما هذا الايمان ؟ ! وما معنى هذا الفناء فى لانهاية المكان والزمان ؟ ! وما معنى امثال الكائنات كلها فى النفس ؟ !

هذه كلها في رأي وفي رأى كل من يقرأها أُلغاز
والإيمان الذى يثيب عليه الله الجنة والزحزحة عن النار
هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو الاتيان
بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج إلى غير ذلك
ولقد رأيت في هلال يونيه سنة ١٩٣٥ مقالا للدكتور عنوانه:
« العمل عبادة » ذكر في ذلك المقال أن كل عمل يؤديه الانسان في
غير ما ظلم هو عبادة لله خالصة حتى الحفر في الأرض والزراعة
وجمع الأموال والتباهى بالقصور وزينة الدنيا. وهذا من عجائب
الدكتور .

الصلاة والصيام في رأيه

وفي ص ٤٩٣ يفسر الصلاة والصيام تفسيراً نحن منه في
شك ، تفسيراً نخشى ان يكون له خبيء . قال في الصفحة المذكورة:
« ولا سبيل إلى معرفة هذه السنة إلا بادامة الاتصال بالكون
والنظر فيه والتماس العون من الله للاهتداء إلى أسرارهِ . إليه تعالى
يتجه الانسان بقلبه وروحه . إياه يعبد وإياه يستعين . وهذه هي
الصلاة وهذا هو الاتصال بالله شكراً على نعمته . فاذا أثقل جسمنا
روحنا وطغت ماديتنا على انسانيتنا فقد وجب أن نكف جهد الطاقة
عما يجعل الجسم يثقل الروح ويجعل المادة تطغى على الانسانية .
وذلك هو الصوم »

والصلاة في الاسلام هي هيئة مخصوصة ذات ركوع وسجود وقيام

وقعود، وذات قراءة وأدعية وتسييح وأشياء آخر. والصوم هو الامساك عن الطعام والشراب وشهوة النفس وعن المحرمات شهراً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. فهل يخفى هذا على مؤلفنا، وهل عبارته هذه تؤدي هذا المعنى

غلط:

وفي ص ٤٧١ يفسر علم محمد عليه السلام للغيب تفسيراً لا يرضاه ولا يرضاه من عرف ما الوحي ومن عرف ما النبوة. ويجهل أن يجعل علمه للغيب كعلم سائر الناس أولى الرياضة، وقد يجعل ذلك من مناجاة الأرواح ومن اتصال أرواح الأحياء بالأموات. وهذا يؤدي إلى انكار الوحي إلى الأنبياء

تحريف

وفي ص ١٧٩ يعيث بقصة سراقه بن مالك ولحاقه رسول الله وأبا بكر في سفر الهجرة عبثاً أي عبث ويحرفها تحريفاً أي تحريف، يتنكب ما رواه علماء الاسلام ومحدثوهم ومؤرخوهم مائلاً إلى ما كتبه المستشرقون. قال:

«وبدأ محمد وأبو بكر يفكران في امتطاء جمالهم إذ كانوا من سراقه قيد البصر وكان جواد سراقه قد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما جهده فلما رأى الفارس أنه وشيك النجاح وأنه مدرك الرجلين فرادهما إلى مكة أو قاتلهما إن حاولا عن نفسيهما دفاعاً نسي كبوة جواده

ولزه ليمسك بيده ساعة الظفر ولكن الجواد في قومته كبا كبوة
عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره ، وتطير سراقه وألقى في روعه
أن الآلهة مانعة منه ضالته وأنه معرض نفسه لخطر داهم إذا هو
هم مرة رابعة لانفاذ محاولته . هنالك وقف ونادى القوم أنا سراقه بن
جعشم انظروني أكلهكم فوالله لا أريكم فلما وقفا ينظرانه طلب إلى
محمد أن يكتب له كتاباً يكون آية بينه وبينه . . . الخ

والذي ثبت في قصة سراقه بن مالك . وأعرض عنه الدكتور ،
هو أنه لما اقترب منهما دعا عليه رسول الله فساخت قوائمه فرسه ،
فطلب من الرسول عليه السلام ومن صاحبه أن يدعوا له ولا يمسها
بسوء ، فدعاه رسول الله ، فنهض جواده ، فرجع كافاً الطلب عنهما .
والسبب في إعراض الدكتور عن هذا أنه يأبى الايمان بالخوارق
والمعجزات

الكتاب من الوجهة الفنية

لا أخفى على القراء أن كتاب حياة محمد لم يثر شيئاً من إعجابي
من الوجهة الفنية التأليفية ، بل أستطيع أن أقول بعد قراءته إنه من
هذه الوجهة قد يكون فجاً غير ناضج ، وقد يكون ضعيفاً في حاجة
شديدة إلى القوة والاجادة

للكتابة في الدين فن خاص به ، وللكتابة في الأدب فن خاص
به أيضاً ، وللكتابة في السياسة والقانون فن خاص بهما ، ولكل
علم فن خاص به . ومن أحسن الكتابة في بعض هذه العلوم

لم يلزم أن يحسن الكتابة فيها كلها . فمن أجاد الكتابة في القانون والسياسة والآداب والقصص لم يلزم أن يحسن الكتابة في الدين . ولو حاول عالم من علماء الدين الكبار أن يكتب في القانون لما استطاع الكتابة ، ولو كتب لما أحسن ، بل ولجعل نفسه عرضة للوم والزراية

إذن للدكتور هيكल العذر الواضح المقبول إذا ما كتب في الدين وقصر تقصيراً كبيراً ، بل وله الشكر والثناء على ذلك الذي قصر فيه

ولأذلك على قصور الكتاب من هذه الوجهة ، بل على ضعفه ، بأول صفحة في الكتاب وكفى بذلك دليلاً مقنعاً

ذكر في الصفحة الأولى أن الأذان دعاء إلى الصلاة لله وإلى الصلاة على رسول الله . والواقع أن الأذان دعاء إلى الصلاة لله فقط كما يقول المؤذن حتى على الصلاة

وقال : « وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم لصلوات العصر فالمغرب فالعشاء »

والصواب ثم لصلاة العصر فصلاة المغرب فصلاة العشاء ، أو لصلاة العصر فالمغرب فالعشاء ، أو ثم لصلوات العصر والمغرب والعشاء وقال : « وكذلك سيكونون » أي سيدكرون محمداً « حتى يظهر الله الدين القيم ويتم نعمته على الناس أجمعين »

وقال في السطر التالي : « ولم يك محمد بحاجة إلى زمان طويل ليظهر دينه ولينتشر في الخافقين » .. الخ

ففي السطر الأول ذكر أن الدين لم يظهر بعد ولم يتم الله نعمته على الناس بهذا الدين ، وفي السطر الثاني ذكر أن ذلك قد كان وقال : « وفي كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمداً في ضراعة وخشية وإناابة »

والذى يذكره المسلمون فى خشية وإناابة وضراعة هو رب محمد ورب كل شىء لا محمد

ذكر هذه الأمور كلها فى الصفحة الأولى من الكتاب . وهذا نموذج وضعناه تحت بصر القارئ . يستطيع به أن يعرف مقدار نضوج الدكتور هيكل ونضوج كتابه فى الكتابة الدينية أو التحليلية الفلسفية كما يريد

وفى الكتاب خلاف كثير ، أى ما يسميه الناس تناقضاً . وقد وقع فى المقدمة من ذلك شىء كثير . ذكر فيها أن الإخاء قد ظل قائماً بين المسلمين والنصارى طول حياة رسول الله . وذكر فى موضع آخر منها أن الإسلام وقف فى وجه النصرانية وقفة المناضل المستميت . كما ذكر فى موضع آخر أن النصرانية قد جردت جيشاً عرمرماً للقضاء على الإسلام ، ولدفع عدوان هذا الجيش كانت غزوة « تبوك » المشهورة وكما ذكر أن الله أنزل قوارع الآيات فى ذم النصارى وذم أهل التثليث . وذكر فى المقدمة أيضاً أن السبب فى عداوة النصارى للإسلام هو جهلهم بالإسلام ، وذكر فى موضع آخر منها أن السبب فى ذلك هو أن بين الدينين : الإسلام والنصرانية خلافاً جوهرياً ، خلافاً فى صلب العقيدة

وذكر فيها أيضاً أن الإسلام لم يكن يشدد في الرد على النصارى ، ثم نقل في مقدمته ، بعد هذا القول ، أشد قوارع الآيات في الرد عليهم وفي تفنيده عقيدتهم . والأمثال من هذا النوع ، في الكتاب عامة وفي المقدمة خاصة ، كثيرة . أفلا يدلك بعض هذا على أن الكتاب في حاجة ماسة إلى النضوج والإجادة ؟ !

نقد الكتاب

لا مشاحة بين القراء أن في الكتاب ظرفاً ، وفيه رقة وبداعة ، وفيه خيالاً عصرياً فرنسياً لذيذاً ، وفيه حلاوة ، وعليه طلاوة . لا مشاحة بين القراء في وجود هذه الأمور . ولكن الكتاب فيه ، بعد ذلك ، أغلاط نحوية وأغلاط صرفية كثيرة ، وفيه تفكيك وقلة ارتباط بين جملة ، وفيه عبارات قد تعمى عن البيان وقد يعمى عنها البيان وقد يكون عسيراً جداً فهمها . وهذه أمور لا خلاف بين قراء الكتاب فيها . وقد كتب أحد الكتاب في مجلة الرسالة مقالاً خاصاً بأغلاط الكتاب اللغوية ، وذكر من ذلك شيئاً كثيراً

ونحن لا نرى بنا حاجة إلى إثبات هذه الأغلاط ، ولا إلى إثبات شيء منها ، ولكن الذي نرى إثباته هنا هو أن نسدى النصيحة للدكتور ونطلب إليه أن يراعى القواعد العربية من نحوية وصرفية . وهذا أمر يسير على مثل الدكتور . ولقد يكون من الظلم لذلك الأسلوب الرقيق الذي وهبه الله « هيكلاً » أن يكون مشوهاً باللحن والغلط ، ممسوخ الجمال بما فيه من أغلاط عربية ظاهرة . وأتذكر أن الدكتور قد أخرج

كتاباً سماه « ثورة الأدب » فكان فيه أغلاط عربية فانتقده الكتاب ،
وأتذكر أن من ناقيه الدكتور طه حسين . وقد كان هذا كافياً لمؤلفنا
أن يجانب هذا العيب المفروض على كتاباته . ولكن يظهر أنه لا يبالي
هذه الناحية ولا يرى لها خطراً يستحق العناية والاهتمام . والأمر
خلاف ما قدر وما ظن .

خاتمة

هذا بعض ما يؤخذ على كتاب هيكل من الجهة الإيجابية . وليلاحظ
أننا لم نتقص الكتاب جيداً ، وليلاحظ أيضاً أننا لم نؤاخذه إلا بما نراه
خطيراً عظيماً . ولنا عليه مأخذ آخر من الوجهة السلبية . ذلك أن في
الكتاب قصوراً واضحاً . فالكتاب في حياة محمد كما سماه . إذن يجب
أن يحيط بالأشرف الأكبر من هذه الحياة ، ويجب أن يحيط بالناحية
العظمى منها . ونواحي الحياة عديدة . ولكن لنا أن نسائل هل وفي ذلك ؟
هل كتب عن أشرف نواحي حياة محمد وعن أكثرها ؟ لعننا لو أجبنا
بالإيجاب لكننا محايين للدكتور . فلقد أهمل أعظم النواحي من هذه
الحياة السامية ، السامية حقاً ، حياة النبوة وكفى . وقصر كتابه على نواح
قد لا تماثل ما أهمله خطراً وخطورة . بل إننا نرى من الظلم لحياة محمد
عليه السلام أن نقول : إن هذا الكتاب يستحق هذا الاسم « حياة
محمد » وبعبارة أخرى نقول : إنه كتب عنه كسياسي محارب ولم يكتب
عنه كرسول عابد ، أو نقول : إنه كتب عنه كقائد ولم يكتب عنه كإمام
أي إنه أهمل ناحية العبادة والتعلق بالسماء ، ذلك الأمر الذي هو

أبرز صفاته عليه السلام في كل أدواره ومواقفه . ولا نشك أن من يقرأ هذا الكتاب يخرج منه على أن حياة محمد ماهي إلا حياة حرية محضة ، حياة كلها الغلبة وكلها الدماء وكلها البطش والجبروت . ولعلك لا ترضى منا هذا القول حتى نضع يدك على حجته ، فأقول : انظر إلى ما كتب عنه عليه السلام : في جميع غزواته تجده قد كتب عن انتصاراته الباهرة وعن اذلاله لأعدائه ، وعن إحكام سياسته . وتجده قد أهمل تألهه وعبادته وتعلقه بالله . وقد كان عليه السلام لا يترك الصلاة في حرب ولا سلم ولا في حضر ولا في سفر . وقد صلى بأصحابه صلاة الخوف وصلاة الجهاد عدة مرات بأنواع من الهيئات على حسب حال العدو وعلى حسب ما تسمح به حالة القتال . وكتاب السيرة كلهم يذكرون ذلك ويكثرون من ذكره . ولكن دكتورنا لم يذكر منه شيئاً مطلقاً وكذلك أهمل صيامه وسائر عباداته في أسفاره وجهاده . وهنالك شيء آخر يدل على قصور في الكتاب ، أو على عيب في الكتاب . ذلك أنه يذكر ما يأتي به رسول الله من مهارة في الحرب ومن سياسة حكيمة راشدة ويعزووها إليه على أنه هدى إليها بعقله ، وعلى أنه أدركها بتفكيره ، ولا يعزووها بل ولا يعزو منها شيئاً إلى وحي الله وإلى نبي جبريل .

وهو أيضاً يعزو انتصارات المسلمين على خصومهم إلى شجاعتهم وإلى قوتهم وإلى تقانيمهم في حب الفناء . ولا يعزو شيئاً من ذلك إلى لطف الله ونصرته . أي إنه يجعل انتصاراتهم على المخالفين هي انتصارات عادية طبيعية . ولا ريب أن هذا خلاف القرآن ، وخلاف قول المسلمين كافة .

وشىء آخر فى الكتاب . وذلك أنه يعتمد على الضعيف من الروايات كثيراً . مثل ذلك أنه ذكر ص ٩٥ أن أول الوحي كان مناماً . وهذا القول فيه رواية ضعيفة ، والروايات الصحيحة المعتمد بها خلاف ذلك ، ورأى المسلمين اليوم خلافه أيضاً

وشىء آخر فى قصور الكتاب ، وهو أنه لم ينقل فيه شيئاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حكمه المعجزة الباهرة . وحياة رسول الله كانت ملأى بأحاديثه ، ملأى بأقواله التى دونها رجال الحديث والتى يتغنى بها المسلمون فى الشرق والغرب . وعندى أن منشأ قصور الكتاب وعيبه جاءه من جهة اعتماده على المستشرقين الذين كتبوا حياة رسول الله عليه السلام . والمستشرقون لم يحيطوا بحياته إحاطة تمكنهم من أن يكتبوا فيها كتابة تقارب الصواب . ولو أنه اعتمد على علماء المسلمين لسلم من بعض ذلك

وقبل القاء القلم لا أنسى أن أقيد هنا ما يأتى :

أولاً — شكر جريدة الكوكب على نشر هذه الحقائق العلمية

ثانياً — أنا حسن الظن بالدكتور . أرى أن ما وقع فيه من أغلاط لم يكن صادراً إلا عن حسن نية وأى إنسان مبرأ من الغلط ، ولكن من الناس المقارب ومنهم المباعد . ولهذا اعتقد أنه سوف يسره ما يواجه به من نقد برىء وسوف يستفيد منه

ثالثاً — أرى هذا الكتاب ، مع ما ذكرنا ، مفيداً لأناس كثيرين ، مفيداً لقوم يحسبون الاتحاد هو كل شىء فى هذا العصر ، مفيداً لقوم يحسبون التدين والایمان مقصورين على العامة والجهلاء ، وما حسبوا

أن رجالا مثقفين عصريين «كهيكل» يحرصون على الدين وعلى
الايمان. وكم يسرنا أن يقتدى كتابنا الأعلام، أمثال الدكتور طه حسين
والأستاذ العقاد والأستاذ المازني، بهيكل ولو أنهم فعلوا ذلك لآمن
الناس جميعاً أو لازداد الاقبال على الدين

رابعاً — لا ندري لماذا لم نسمع من علماء الأزهر، أولئك الذين
يغضبون للوسيلة وللطواف بالأضرحة، والذين يغضبون على الوهابيين
ويكيلون لهم من السب والايذاء ما هم به عالمون، صوت نقد وانكار على
هذا الكتاب، وفيه ولا شك مما لا يرضاه هؤلاء الشيء الكثير. ألا
يكون هذا دليلاً على اشتغال القوم بالدنيا عن كل شيء حتى عن العقيدة
وحتى عن انكار ما ينكرون؟

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين، وأن يبعدهم عن مواضع الفتن
والفتن، وأن يجعلهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
عبر الله على النجدي القصيمي



فهرس

صفحة		صفحة
١	محمد عليه السلام	٥١
١٤	الدكتور هيكل	٥١
١٥	لم يقدح المسلمون في عيسى	٥٢
١٦	أساس الديانات التوحيد	٥٢
١٧	وحدة الوجود والاسراء	٥٣
١٩	لا يعلم الغيب إلا الله	٥٣
٢١	هل ينكر الاسراء والمعراج؟	٥٤
٢٢	المعجزات المادية ومنطق الدكتور	٥٦
٣٣	الذبح والفداء	٥٨
٣٤	شق الصدر ومنطق الدكتور	٥٨
٤٣	من تعلم موسى التوحيد؟	٥٩
٤٤	هل تحبل العقيم من الغيرة؟	٦٠
٤٦	رحلته عليه السلام الى الشام	٦١
٤٧	الرحلة الثانية	٦٢
٤٧	هل كان يتعلم قبل الوحي؟	٦٢
٤٨	ابراهيم يدعو الناس الى عقله	٦٣
٤٩	مجيء ابراهيم الى مصر	٦٦
٥٠	عبادة خديجة للأصنام	٦٧
٥٠	هل كان عليه السلام ينسى نفسه؟	
	هل كانت خديجة تؤذى رسول الله؟	
	دعوة محمد والطريقة العلمية	
	حداد رسول الله	
	هل كان يواد اليهود وهل كانوا موحدين؟	
	غلطة	
	هل أقر الاسلام شيئاً من الوثنية	
	المقارنة بين المسلمين والغريبيين	
	مذهب وحدة الوجود	
	الله في نظر الدكتور	
	الآخرة في رأيه	
	هل الروح قديمة؟	
	الايمان في نظره	
	الصلاة والصيام عنده	
	غلطة	
	تحريف	
	الكتاب من الوجهة الفنية	
	لغة الكتاب	
	الخاتمة	

كتب المؤلف

البروق النجمية

يبحث في التوحيد وفي التوسل والوسيلة وفي البدع الشائعة وما في الموضوع من آيات وأحاديث وآراء

سبوغ الازهر والزيادة في الاسلام

يقدم الدلائل من العقل والنقل على أن الدين كامل لا يتحمل زيادة ولا بدعة

الفصل الخامس بين الوهابيين ومخالفهم

يدرس المواضيع المختلف فيها قديماً وحديثاً بين السلف الممثلين بالوهابيين وبين الخلف

مشكرات الاحاديث النبوية

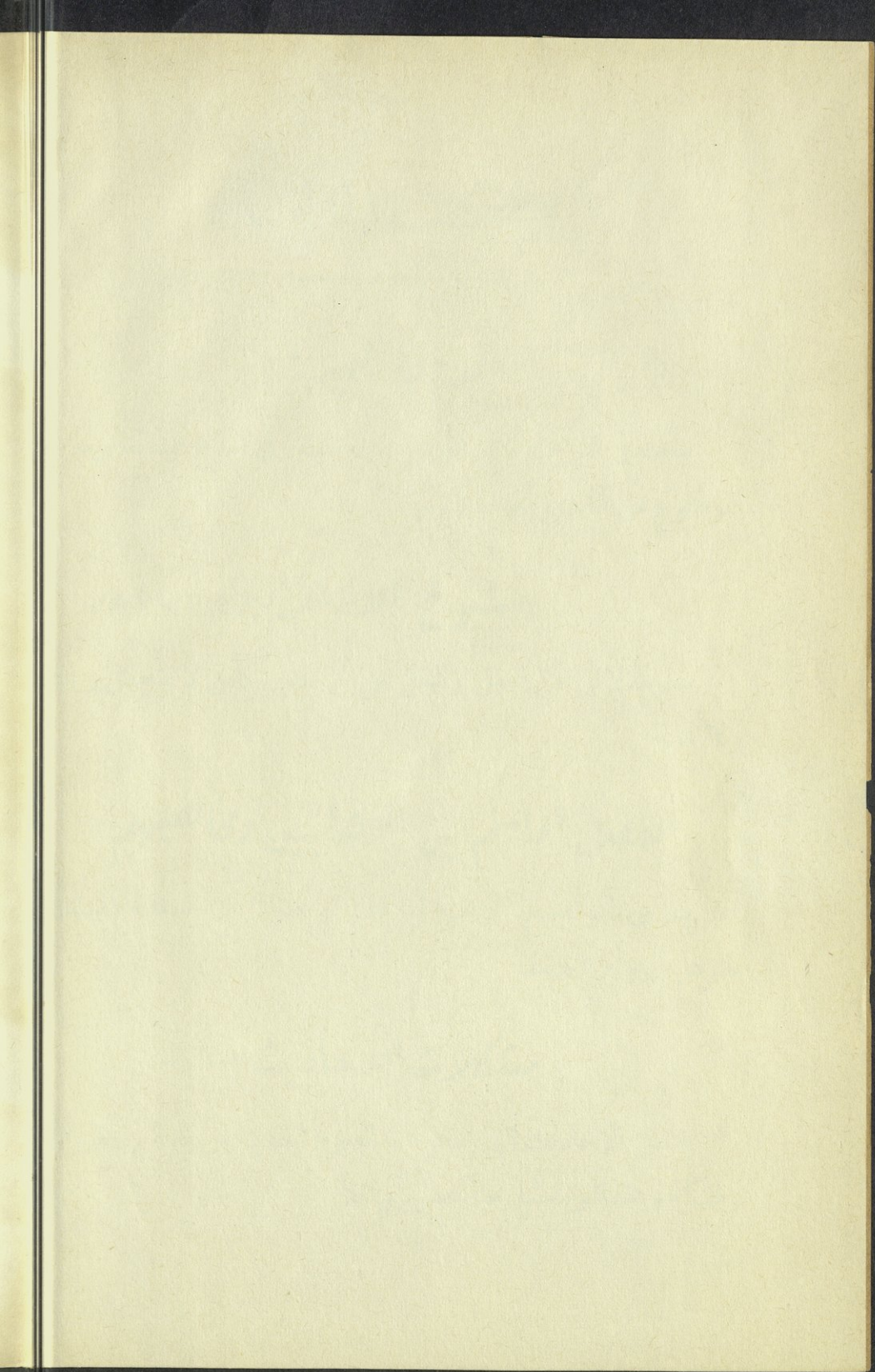
يشمل الاحاديث التي استشكلتها العلوم الحديثة من طبية وجغرافية وفلكية وعقلية ويبحثها بحثاً عصرياً رائقاً

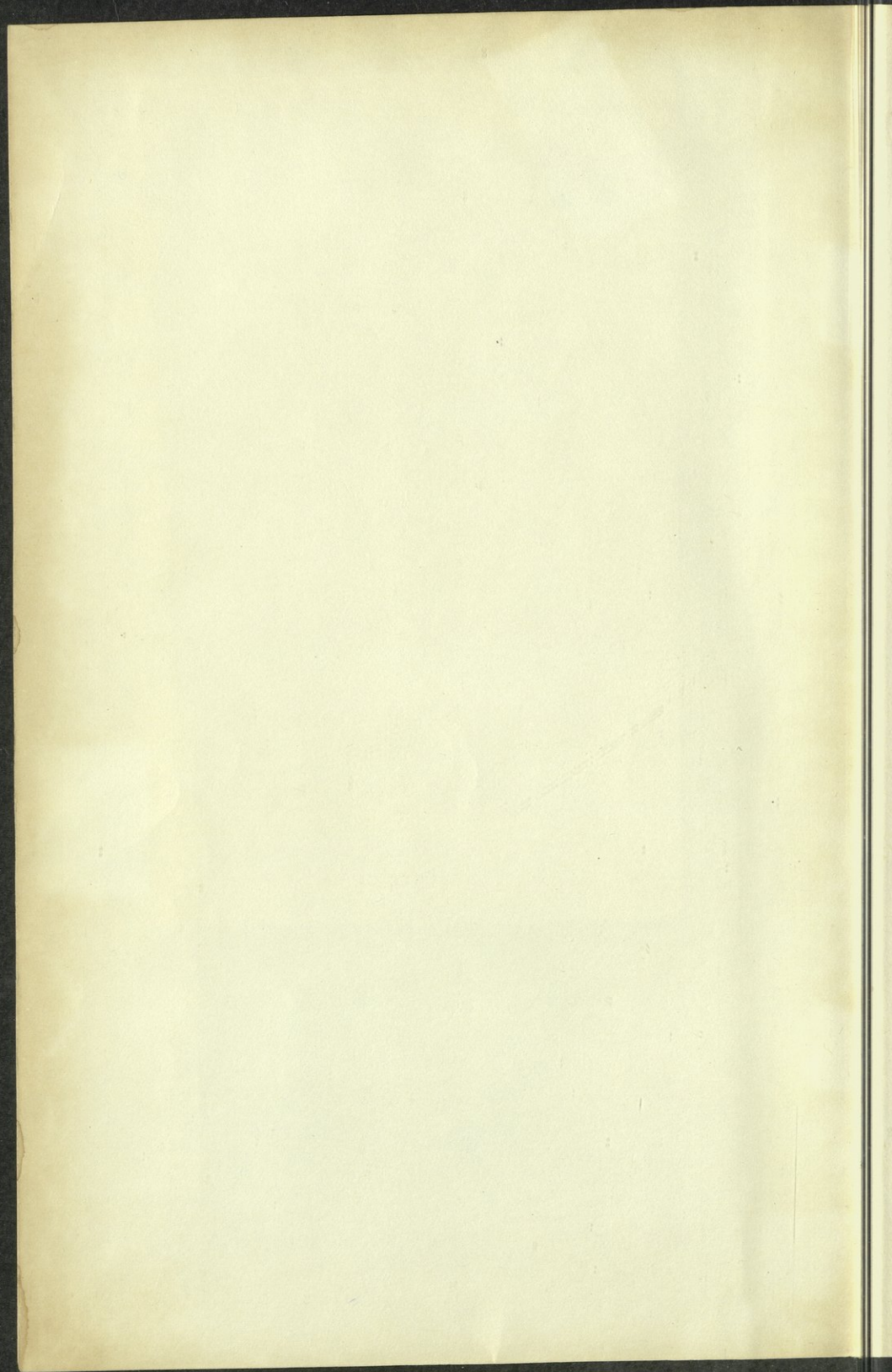
ما في

بادة

لين

فينة





DATE DUE

~~J. LIB.~~

~~18 MAR 1995~~

~~J. LIB.~~

~~11 FEB 1995~~

Jafet Library

01 FEB 1995

11 FEB 1995

الفصيمي، عبد الله علي

نقد كتاب حياة محم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01013023

29763

R1944

207. 69. 11104